مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 88 ، ذو الحجة 1415هـ / مايو 1995م

كلمة صغيرة

تطبيع وتطبيع

منذ نحيت شريعة الله وأمتنا تسير من شيء إلى أسوأ ، وكانت عاقبة ذلك الكوارث والهزائم والنكبات أم حكومتنا الديموقراطية حتى في عصور ثورياتها وعنترياتها التي أعلنت توجهاتها القومية وأن وحدتها لا يغلبها توجهاتها القومية وأن وحدتها لا يغلبها غلاب ، لم تحقق شيئاً مما تشدقت به ، والحال ما نراه . !

وهل انكسارات أمتنا جعلتها تعلن العودة لشريعة الله أم إن ذلك ما زادها إلا سقوطاً وتداعياً في أحضان العدو ؟ ، إن الأمم العاقلة تطبع علاقتها بين شعوبها وليس مع أعدائها وتزيل كل معوقات تقاربها واتحادها ، وتخفف من بير وقراطيتها كما حصل مؤخراً في (شينجين) بتطبيق حرية الانتقال لمواطني سبع دول أوروبية دون أي قيد حدودي .

أين أمتنا من مثل هذه القرارات ، أم إنها لا تجيد سوى المؤامرات ضد بعضها بعضاً ، وتغريب المجتمعات ، ومصادرة الحياة لمجرد الاشتباه ! .

متى تسود شريعة الله بعيداً عن المزايدات الانتخابية ودعاوى التقنين ، فنضمن ما هو أحسن وأرأف بالبلاد والعباد ، وحتى نكون حقاً (خير أمة أخرجت للناس) أم على قلوب أقفالها ؟ ! .

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

الافتتاحية

العقيدة أولاً .. ولكن

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه ، وبعد ..

كثيراً ما تحدث العلماء والمفكرون المسلمون داعين إلى الرجوع إلى منهج الأنبياء في الدعوة ، في خضم الكثير من المناهج الدعوية الجديدة ، التي ينأى بعضها قليلاً أو كثيراً عن ذلك المنهج ، مما أدى بتلك الدعوات إلى الإخفاق في الوصول إلى تحقيق غاياتها المعلنة بتحكيم شريعة الله وحده دون غيره ، ودعوة الناس كافة إلى صراط الله المستقيم ، وحينما نؤكد على أهمية الدعوة إلى منهج الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، إنما نعني أن يكون البدء بأي إصلاح منطلقاً من إصلاح العقيدة فهي الأساس الذي يجب أن تنطلق منه الدعوات بعيداً عن التقليد والمجاملات ، وعدم البدء بجزئيات مهما كانت ؛ فهي لا تصل إلى أهمية إصلاح العقيدة . لقد بدأ بعضهم بالإصلاح الفكري ، ومنهم من دعا إلى الإصلاح الخلقي والروحي ، ومنهم من دعا إلى الإصلاح السياسي ، ومنهم من دعا إلى غير ذلك . إن تلك الجهود الجزئية مع ما قدمته من أعمال ، ومن مساهمة في التأثير على مسار الصحوة الإسلامية المعاصرة ، قد توقفت عند مدًى معين لم تتجاوزه ، فولّد ذلك إخفاقات في مجال الدعوة مازلنا نلمس آثارها في كثير من الأحيان من الخلافات المستمرة والصراع المرير بين رفاق الدعوة والجهاد ، فضلاً عن العجز عن قطف الثمار التي طال انتظارها .

فحتى متى تبقى الدعوة الإسلامية حقلاً للتجارب . إنه من المحتم على أولي الشأن من العلماء والعاملين في سلك الدعوة إلى الله التوقف كثيراً أمام بعض ما حصل من الوقائع والفجائع ، ودراسة هذه الظواهر المقلقة ، وما تنطوي عليه نفسيات بعض المنتسبين للدعوة من : حزبية ، وتعصب أعمى ، وتقديس للرجال .

وسنجد أن وراء تلك السلبيات والمشكلات في طريق الدعوة أسباب ، منها :

1- أن كثيراً من الاتجاهات الدعوية لا تنطلق من تأصيل شرعي صحيح في مناهجها ، مما أدخل في بعض الدعوات أفراداً من الشباب المتحمسين الذين ينقصهم العلم الشرعي ، مع الأنفة من الرجوع إلى العلماء الموثوقين لاستشارتهم .

2- ولقد نتج عن السبب الأول : أن تسيد في بعض الحركات الإسلامية أصحاب الفكر البدعي ، وأصبحوا منظرين لتلك الحركات ، مما أدى أحياناً إلى وجود سلوكيات لا تمت إلى الإسلام بصلة .

3- الفهم الجزئي لديننا الحنيف ، والانطلاق من جزئيات معينة كما ذكرنا والبناء عليها ، وتناسي الأصول التي يجب البدء بها والبناء على أسسها .

4- التوجه الحزبي الضيق لبعض الدعوات الذي جعلها تتقوقع على نفسها ، وربما رأت أنها هي التي على الحق وحدها ، وهذا نظر قاصر وتزكية للنفوس تخالف الأصول الشرعية ، وغمط لحقوق الدعاة العاملين .

5- البعد عن الحوار البناء لإيجاد أرضية مشتركة بدءاً من إصلاح العقيدة ، مما ولد صراعاً عنيفاً حتى بين بعض فئات الجماعة الواحدة والمنهج الواحد ، مما جعل أعداء الدعوة من العلمانيين وغيرهم يشعرون بالغبطة ، وهم يعملون لتأجيج مثل تلك الخلافات ليستمر الصراع المؤسف بين الأخوة والأشقاء .

ماذا نعني بإصلاح العقيدة :

الذي نعنيه بإصلاح العقيدة هو : نهج الطريق الذي سلكه الأنبياء (عليهم

الصلاة السلام) وعلى رأسهم نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في دعواتهم لأممهم التي أرسلهم الله (تعالى) إليها ، فهذا هو الطريق الأمثل الموصل إلى الغاية المرجوة ومحورها الأصيل ، العبودية المطلقة لله وحده ، وتحقيق الألوهية له (جل جلاله) ودعوة الناس إليها ، وتربيتهم عليها قبل أي شيء آخر ، فمفتاح دعوة الرسل : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتحقيق الحاكمية في التشريع لله (عز وجل) ، والولاء والبراء على ذلك . وينبني على هذه المعرفة مطالب الرسالة كلها .

إن كل داعية مخلص يجب أن ينطلق في دعوته من أصول أهل السنة والجماعة المعتبرة ، بعيداً عن المناهج البدعية من : صوفية ، وكلامية ، وعقلانية بحتة ، فهي التي أدت بالأمة إلى التشرذم والتفرق .

وما ننصح به إخواننا الدعاة جميعا عدم الاستعجال في قطف الثمار ، فذلك آفة تؤدي إلى سلوك الأساليب البعيدة عن الحكمة .

إننا حقاً بحاجة ماسة إلى العودة إلى سنن الأنبياء في الدعوة ، وقد وضحت لنا السيرة النبوية المنهاج لبناء مجتمع إسلامي ، فمتى يتعاون الدعاة فيما بينهم ؟ ! ومتى يصل الدعاة والعلماء العدول إلى كلمة سواء بدلاً مما هو حاصل في أحيان كثيرة من جفاء وعدم مودة ، لمسنا آثارها السيئة على واقعنا الدعوي ، مما جعل الأعداء يشمتون بنا ، وجعل الأصدقاء لا يملكون سوى الدموع حيال ما حصل ويحصل ، إننا بحاجة حقاً إلى التوقف والمراجعة والعودة إلى المنهاج النبوي كما رسمته لنا السيرة الصحيحة .

فحسن النية والإخلاص وحده لا يكفي في توصيل الدعوة إلى الناس وقبولهم لها ، نعم العقيدة أولاً ، ولكن لابد من التزام الأساليب الدعوية الحكيمة ، واقتفاء آثار الوحيين ، وتجريد المتابعة للرسول -صلى الله عليه وسلم- .

لقد جربنا كثيراً من المناهج الجديدة التي ألمحنا إلى بعضها ، غير أن حالنا لا يسر ، ولم يبق لنا سوى منهج الأنبياء في الدعوة كما فصله بأوضح بيان نبينا وأسوتنا وقائدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- في سيرته وسنته ونقَلَهُ عنه أصحابه والتابعون لهم بإحسان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ... [الأنعام90] ، وهذه عبودية كان يلزم الأخذ بها من أول الطريق .

إننا نريد أن تكون أساليب الدعوة المحسوبة على أهل السنة والجماعة (أهل الحديث) هي الأساليب النبوية الصحيحة ، كما هو معهود عنهم قديماً وحديثاً ، وكما فصلها كثير من العلماء والدعاة العدول .

والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ، وأن يلهمنا حسن القصد في القول والعمل .. والله المستعان ..

دراسات شرعية

معاني العقيدة من خلال فريضة الحج

د .عبد العزيز آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : ففي الحج معان عظيمة ، وحكم بالغة ، ومنافع كثيرة ، كما قال سبحانه : ليشهدوا منافع لهم [الحج : 28] ، وفي هذه الصفحات نورد جملة من معاني العقيدة ومسائل أصول الدين من خلال هذه الفريضة :

أولاً : التسليم والانقياد لشرع الله تعالى :

كم نحتاج أخي القارئ إلى ترويض عقولنا ونفوسنا كي تنقاد لشرع الله (تعالى) بكل تسليم وخضوع ، كما قال (سبحانه) : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [النساء : 65] .

فالحج خير مثال لتحقيق هذا التسليم ، فإنّ تنقل الحجاج بين المشاعر ، وطوافهم حول البيت العتيق ، وتقبيلهم للحجر الأسود ، ورمي الجمار ... وغيره كثير : كل ذلك أمثلة حية لتحقيق هذا الانقياد لشرع الله (تعالى) ، وقبول حكم الله (عز وجل) بكل انشراح صدر ، وطمأنينة قلب .

لقد دعا إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل (عليهما الصلاة والسلام) فقالا : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم [البقرة : 128] .

لقد دعوا لنفسيهما ، وذريتهما بالإسلام ، الأذي حقيقته خضوع القلب وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح .

ورضي الله عن الفاروق عمر إذ يقول عن الحجر الأسود : » إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك « [1] .

يقول الحافظ ابن حجر : » وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها ، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه « [2] .

ويقول قوام السنة إسماعيل الأصفهاني (رحمه الله) : » ومن مذهب أهل السنة: أن كل ما سمعه المرء من الآثار [3] مما لم يبلغه عقله ، فعليه التسليم والتصديق والتفويض والرضا ، لا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه « [4] .

ويقول ابن القيم (رحمه الله) : » إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم ، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامروالنواهي والشرائع ، ولهذا لم يحك الله (سبحانه) عن أمة نبي صدقت نبيها وآمنت بما جاء ، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما ، ونهاها عنه ، وبلغها عن ربها ، بل انقادتْ ، وسلمتْ ، وأذعنت ، وما عرفت من الحكمة عرفته ، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها بسبب عدم معرفته ، وقد كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيها لِمَ أمر الله بذلك ؟ ولِمَ نهى عن ذلك ؟ ولِمَ فعل ذلك ؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام « [5] .

ثانياً : إقامة التوحيد :

إن هذه الشعيرة العظيمة قائمة على تجريد التوحيد لله وحده لا شريك له ؛ قال (سبحانه) : وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود [الحج : 26] .

وحذر (سبحانه) من الشرك ونجاسته ، فقال (عز وجل) : فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به [الحج : 3031] .

بل من أجل تحقيق التوحيد لله وحده ، والكفر بالطاغوت ، شُرع للحاج أن يستهل حجه بالتلبية قائلاً : » لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك « .

ومن أجل تحقيق التوحيد شُرع للحاج أن يقرأ في ركعتي الطواف بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص (قل هو الله أحد) ، و (قل يا أيها الكافرون) ، كما كان يفعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- .

كما شَرعَ الله (تعالى) التهليل عند صعود الصفا والمروة ، فيستحب للحاج والمعتمر أن يستقبل القبلة عند صعوده الصفا والمروة ويحمد الله ويكبره ويقول : » لا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده « .

ومن أجل تحقيق التوحيد أيضاً كان خير دعاء يوم عرفة أن يقال : » لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت ، وهو على كل شيء قدير « .

وفي مناسك الحج وشعائره تربيةٌ للأمة على إفراد الله (سبحانه) بالدعاء والسؤال والطلب ، والرغبةإليه ، والاعتماد عليه ، والاستغناء عن الناس ، والتعفف عن سؤالهم ، والافتقار إليهم ؛ فالدعاء مشروع في الطواف والسعي ، وأثناء الوقوف بعرفة ، وعند المشعر الحرام ، وفي مزدلفة ، كما يشرع الدعاءوإطالته بعد الفراغ من رمي الجمرة الصغرى والوسطى في أيام التشريق .

ثالثاً : تعظيم شعائر الله (تعالى) وحرماته :

قال الله (تعالى) بعد أن ذكر أحكاماً عن الحج : ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه [الحج : 30] .

والحرمات المقصودة هاهنا أعمال الحج المشار إليها في قوله (تعالى) : ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم [الحج : 29] [6] .

وقال (سبحانه) : ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب [الحج : 32] ، فتعظيم مناسك الحج عموماً من تقوى القلوب [7] .

وتعظيم شعائر الله (تعالى) يكون بإجلالها بالقلب ومحبتها ، وتكميل العبودية فيها ؛ يقول ابن القيم (رحمه الله) : » وروح العبادة هو الإجلال والمحبة ، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت « [8] .

ورد في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : » لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة [يعني : الكعبة] حق تعظيمها ، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا « [9] .

رابعاً : محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من أجل أعمال القلوب ، وأفضل شعب الإيمان ، ومحبة الرسول صتوجب متابعته والتزام هديه ، وإن التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أثناء القيام بمناسك الحج سبب في نيل محبته ، حيث قال -صلى الله عليه وسلم- : » خذوا عني مناسككم « ، وفي اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- تحقيق لمحبة الله (تعالى) ؛ كما قال (سبحانه) : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله [آل عمران : 31] .

خامساً : تحقيق الولاء بين المؤمنين والبراءة من المشركين :

كم هو محزن حقاً تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً .. وتمزقهم إلى دول متعددة ومتناحرة .. وقد غلبتْ عليهم النعرات الجاهلية المختلفة ، وإن فريضة الحج أعظم علاج لهذا التفرق والتشرذم ، فالحج يجمع الشمل ، وينمي الولاء والحب والنصرة بين المؤمنين ، وإذا كان المسلمون يجمعهم مصدر واحد في التلقي الكتاب والسنة وقبلتهم واحدة ، فهم في الحج يزدادون صلة واقتراباً ، حيث يجمعهم لباس واحد ، ومكان واحد ، وزمان واحد ، ويؤدون جميعاً مناسك واحدة .

كما أن في الحج أنواعاً من صور الولاء للمؤمنين : حيث الحج مدرسة لتعليم

السخاء والإنفاق ، وبذل المعروف أياً كان ، سواء أكان تعليم جاهل ، أو هداية تائه، أو إطعام جائع ، أو إرواء غليل ، أو مساعدة ملهوف .

وفي المقابل : ففي الحج ترسيخ لعقيدة البراء من المشركين ومخالفتهم ؛ يقول ابن القيم : » استقرت الشريعة على قصد مخالفة المشركين لا سيما في المناسك « [10] .

لقد لبى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتوحيد ، خلافاً للمشركين في تلبيتهم الشركية ، وأفاض من عرفات مخالفاً لقريش حيث كانوا يفيضون من طرف الحرم، كما أفاض من عرفات بعد غروب الشمس مخالفاً أهل الشرك الذين يدفعون قبل غروبها .

ولما كان أهل الشرك يدفعون من المشعر الحرام (مزدلفة) بعد طلوع الشمس ، فخالفهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، فدفع قبل أن تطلع الشمس .

وأبطل النبي -صلى الله عليه وسلم- عوائد الجاهلية ورسومها كما في خطبته في حجة الوداع ، حيث قال : » كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع « [11] ؛ يقول ابن تيمية : » وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات ، مثل : دعواهم يا لفلان ، ويا لفلان ، ومثل أعيادهم ، وغير ذلك من أمورهم « [12] .

سادساً : تذكر اليوم الآخر واستحضاره :

فإن الحاج إذا فارق وطنه وتحمل عناء السفر : فعليه أن يتذكر خروجه من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وأهوالها .

وإذا لبس المحرم ملابس الإحرام : فعليه أن يتذكر لبس كفنه ، وأنه سيلقى ربه على زي مخالف لزي أهل الدنيا .

وإذا وقف بعرفة : فليتذكر ما يشاهده من ازدحام الخلق وارتفاع أصواتهم واختلاف لغاتهم ، موقف القيامة واجتماع الأمم في ذلك الموطن [13] ؛ قال ابن القيم : فلله ذاك الموقف الأعظم الذي ... كموقف يوم العرض ، بل ذاك أعظم

نسأل الله (تعالى) أن يتقبل منا ومن المسلمين صالح الأعمال ، وبالله التوفيق .

---

(1) أخرجه البخاري ، كتاب الحج ، باب تقبيل الحجر (2) فتح الباري ، ج3ص463 (3) أي : الآثار الصحيحة (4) الحجةفي بيان المحجة ، ج2 ص435 .
(5) الصواعق المرسلة ، م4 ، ص1560 ، 1561 .
(6) انظر : تفسير ابن عطية ، ج4ص120 .
(7) انظر : تفسير الطبري ، ج17 ص157 (8) مدارج السالكين ، ج1 ص495 .
(9) أخرجه ابن ماجة : كتاب المناسك ، باب فضل مكة ، وقال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن ؛ انظر : فتح الباري ، ج3 ص449 (10) تهذيب سنن أبي داود ، ج3 ص309 .
(11) أخرجه مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ح/147 .
(12) اقتضاء الصراط المستقيم ، ج1 ص301 .
(13) انظر : مختصر منهاج القاصدين ، ص48 .

دراسات شرعية

مفاهيم ودروس من صلح الحديبية
(الحلقة الثانية)

د .محمد بن عبد الله الشباني

تطرق الكاتب في الحلقة السابقة إلى أحوال ما قبل صلح الحديبية ، وبيّن كيف استفاد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من هذه الأحوال موضحاً الأسس والمبادئ التي ركز عليها ، وخطواته التي اتبعها ، وأسلوب مفاوضاته ، ومحاولات قريش المضادة ، وذكر الكاتب أن قريشاً رضيت من الصلح بهيبة زائفة ومكاسب شكلية ،

وهذا ما يلاحظه المتابع للمعاهدات المعاصرة مع اليهود ، ويواصل الأخ الكاتب عرض مزيد من المفاهيم والدروس حول الموضوع .

- البيان -

دروس من شروط صلح الحديبية :

الدراسة المتأنية في شروط الصلح الذي تم بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقريش ترشد إلى أمور ينبغي الأخذ بها عندما يواجه المسلمون حالات من عقد صلح أو معاهدات مع أعداء الأمة ، وتتمثل هذه الأمور فيما يلي :

أولاً : التركيز على الغاية والهدف القريب والبعيد من الهدنة ، وعدم إعطاء أهمية قصوى للأمور الشكلية على حساب المصلحة الجوهرية للطرف المسلم ، ومن أمثلة ذلك : إصرار قريش على عدم البدء في الكتابة بذكر صيغة البسملة والاستعاضة عنها بلفظ ذي دلالة للمعنى نفسه وهو باسمك اللهم ، وكذلك عدم ذكر صفة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مقرونة باسمه ، إن هذه الأمور الشكلية يمكن المماحكة فيها لإبعاد الخصم عن جوهر هدف الصلح ، ومن ثم : استنزاف قواه ومهاراته التفاوضية في معالجة هذه الأمور الشكلية ، وكان واضحاً أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فوّت عليهم هذه الغاية بالرغم من عدم انتباه بعض الصحابة لذلك .

ثانياً : أن الصلح لم يكن مانعاً أو عائقاً لحركة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، فلم يرد في الصلح الحد من حرية حركة الرسول ، بل إن أهم نقطة في هذا الصلح هو توفير المجال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحركة في الجزيرة العربية ، وتحييد العدو الرئيس وهو قريش ، ولهذا : فقد ذُكر أن عقد الاتفاقية هو هدنة ومهادنة يُقصد منه وقف الحرب عشر سنين ، يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وعدم إظهار العداء أو ما يعرف في الوقت الحاضر وقف الحملات الإعلامية ؛ وهذا الشرط هو محور وغاية الصلح ؛ فإن منع إظهار العداء يسمح للمسلمين بالحركة والدعوة للأفكار التي يحاربون من أجلها ، كما أن إيقاف الحرب بين قريش وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- سوف يهيئ الظروف للمسلمين للانتشار مع تحييد قوة قريش ونفوذها المعنوي من التأثير في بقية العرب .

إن من المفارقات التاريخية العجيبة في هذا العصر أن يتبع اليهود المقاصد نفسها التي اتبعها الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع قريش ، وذلك حينما استطاعوا عند توقيع معاهدة كامب ديفيد إخراج مصر (القوة العربية الكبيرة) من الصراع واستخدامها أداة لتفتيت القوة العربية والإسلامية ، ثم استخدامها أداة لتنفيذ وتحقيق المصالح اليهودية ، وذلك باستغلال هذه المعاهدة لإلغاء أو تخفيف الحصار السياسي والاقتصادي والإعلامي مع بقية العالم ، وقد تمكنوا من الحصول على الاعتراف من قِبَل كثير من الدول وتنمية علاقاتهم الاقتصادية معها بسبب تلك المعاهدة ، بل لقد حققت معاهدة كامب ديفيد غايتها باعتراف الزعامة الفلسطينية بشرعية دولة اليهود ، ثم سقطت آخر أوراق التوت عندما وقّعت منظمة التحرير الفلسطينية قبولها بما عرف بالحكم الذاتي الجزئي ! لغزة وأريحا .

وقد كان من النتائج المباشرة لصلح الحديبية أن تفرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحلفاء قريش في غزوة الخندق (اليهود) ، فبعد عودة الرسول من الحديبية بشهر أو أقل استنفر من شهد الحديبية ، ومنع من لم يشهدها من الغزو معه، فالله الذي يعلم خفايا النفوس منح أولئك الذين اختاروا الآخرة على الدنيا حسن ثواب الدنيا والآخرة ، وفي هذا عبرة أن من يتجرد في عطائه لله قد يعطيه الله ما يشتهي في دنياه قبل آخرته بجانب ما يدخره له في آخرته .

ثالثاً : أشارت وثيقة الصلح إلى أمر يثير التساؤل ويهز النفوس ، لقد حدث ذلك للمسلمين المصاحبين لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، حيث أشارت وثيقة الصلح إلى أن مَن أتاه من قريش ممن هو على دينه بغير إذن وليه رده محمد -صلى الله عليه وسلم- إليه ، ومن أتى قريشاً ممن كان مع محمد لم يردوه إليه ، إن ظاهر هذا الشرط غبن على المسلمين ، فكيف يتخلى المجتمع المسلم عن أفراده المستضعفين فيردهم إلى أعدائهم ، وفي الوقت نفسه لا يرد من نكص على عقبيه وهرب مرتداً من المجتمع المسلم ؟ ، ولكن المتأمل لهذا الشرط يجد أن قبوله في غاية الحكمة ؛ فلا شك أن المجتمع المسلم لا يرغب في ضم الأفراد ضعيفي العقيدة أو المهزومين ، فمن يرتد ويهرب من المجتمع المسلم فهو شر تخلص منه المجتمع، فوجوده يشكل الطابور الخامس ، ولهذا : فإن الحرص على ضم أولئك الذين في قلوبهم مرض حيث فضلوا النكوص لا فائدة منه ، أما أولئك المؤمنون بالعقيدة من المعسكر الآخر الذين اشترطت المعاهدة إعادة من يهرب منهم إلى المجتمع المسلم فقد كان في بقائهم مصلحة ظاهرة ، إذ إن قبول مثل هذا الشرط سوف يفتح للمسلمين مصالح كثيرة ، مثل أن يجعل هذا المعسكر على الحياد والتفرغ لمعسكرات أخرى ، بحيث يمكن أن يتم القضاء على تلك المعسكرات بإضعاف التحالف بينها ، فقبول ذلك الشرط ممكن من قِبَل الدولة المسلمة تشجيعاً لتلك الفئات على القيام بالمقاومة ؛ أي : بوجود تشكيلات عسكرية حرة الحركة تقلق العدو وتجعل هذا الشرط عبئاً عليه بدلاً من أن يكون معيناً له ، وهذا ما حدث بعد ذلك [1] ، فقد تكونت خلية تعلن الحرب ضد قريش عندما قاد أبو بصير المسلمين المستضعفين الهاربين من مكة للتصدي لرحلات قريش الاقتصادية على طريق الشام الحيوي ، مما دفع قريشاً للكتابة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطلبون إليه إلغاء هذا الشرط .

رابعاً : أعطت وثيقة الصلح الحق لأي قبيلة من قبائل العرب أن تتحالف مع أي طرف من أطراف الصلح ؛ فدخلت (خزاعة) في عهد الرسول وعقده ، ودخلت (بنو بكر) في عهد قريش وعقدهم ، وقد كان لهذا التحالف دوره في نقض العهد وفتح مكة فيما بعد .

ومن هذه الجزئية في شروط عقد الصلح يمكن إدراك أهمية وضرورة أن لا يَحُدّ الصلح مع العدو من إمكانية تكوين الأحلاف ؛ لأن ذلك من أساسيات الاستقلال السياسي ، فإن أي صلح ينقص من هذا الحق أو يمنعه أي : يمنع حرية التصرف من عقد المعاهدات مع الآخرين أو تحديد إطار من التعامل يحدده العدو إنما هو انتقاص لحرية وكرامة الأمة ، ويعتبر استسلاماً وتسليماً للعدو ، فهذا صلح لا يجوز في عرف وقواعد الإسلام ؛ فعندما تحتوي بنود المعاهدات على فقرات تمس حرية الحركة والتصرف ، أو الحد من السيادة ، كما حدث في اتفاقيات المصالحة في (كامب ديفيد) و (غزة وأريحا) والصلح مع الأردن التي سعت إلى تقليص وإضعاف سيادة الدول والجماعات التي وقع اليهود معها الصلح .

ولقد بليت الأمة في هذا الزمن برجال مهمتهم قلب الحقائق وتفسير التاريخ وأحداثه ليواكب الرغبات والأهواء ، فبرز رجال يَدّعون العلم والمعرفة أخذوا يفسرون أحداث السيرة النبوية لتتناسب ورغبات القادة الذين أسلموا أمورهم إلى أعدائهم ، وتولوا تطبيع الأمة وفق ما يشتهي أعداؤها .

لقد استدل بعض الناس على مشروعية الصلح مع اليهود المغتصبين لأرض فلسطين ، بأن هذا الصلح مع اليهود سوف يقلل ويخفف من الأذى الذي يقع من أعدائهم اليهود والنصارى بحقن دماء المسلمين في فلسطين ، وحفظاً لدماء المسلمين

في بقية الدول العربية ، لأن واقع الأمة لا يسمح لها بالمقاومة واستعادة حقوقها ! !، وأن إدراك بعض الشيء أفضل من فقدان الكل ، وتجربة العرب في عدم الصلح مع العدو منذ قيام دولة اليهود في فلسطين لم تسفر إلا عن مزيد من الهزائم وفقدان السيادة على كل فلسطين ، وأن المقاومة لم تجد ، بل أدت إلى قتل وتشريد مئات الآلاف من العرب المسلمين ، وأن الصلح مع اليهود سوف يوقف هذا الضرر ، وأن صلح الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع مشركي مكة يقدم السند الشرعي ! ! الذي يجيز التصالح مع العدو ...

وتنبع هذا المقولة من الهزيمة النفسية التي أصيبت بها الأمة والتشرذم الذي قسّم بلاد العرب والمسلمين إلى دويلات تبنت أفكاراً ومنهاج وسياسات ومبادئ عقائدية تصادم الأصول الإسلامية ، بل وتجاربها ، وما تلى ذلك من إعلام رسّخ في عقل الأمة الخوف وحب الحياة مع قلب الحقائق والعمل على مسخ الفكر وغرس الاستكانة والرعب في القلوب بدلاً من غرس حب الشهادة والاستشهاد وتحمل الشدائد والتضحية والفداء في سبيل نصرة الإسلام بدعوة الناس إليه والعمل على تطبيقه في واقع الناس .

صلح الحديبية بين الاستدلال والانتحال :

إن الاستدلال بـ (صلح الحديبية) على جواز الصلح مع اليهود والتسليم بشرعية وجود دولتهم على أرض المسلمين والتمكين لهم بالغزو الثقافي والاقتصادي: أمر لا يتفق مع حقيقة صلح الحديبية ، ولا الغايات التي هدف إليها كما أثبت ذلك التاريخ ، بجانب أن الواقع العسكري والتفاوضي يغاير جميع المقاييس للواقع المعاصر الذي يستدل بصلح الحديبية بوصفه دليلاً شرعياً لإجازة الصلح مع أعداء الله اليهود ، وذلك للأمور التالية :

أولاً : أن واقع الصلح مع مشركي قريش يختلف عن واقع الصلح مع اليهود ، فالنبي قد خرج من مكة إلى المدينة من أجل إيجاد الكينونة للمجتمع المسلم ، لينطلق منها إلى بقية جزيرة العرب ، وذلك من أجل العمل على إعادة العرب إلى دين إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وكان -صلى الله عليه وسلم- بعد فترة قصيرة من استقراره في المدينة استطاع أن يفرض وجود المجتمع المسلم ، فقد مكّن الله له في جزيرة العرب ، وألحق بقريش هزائم متعددة ، وانتصر على التحالف بين مشركي قريش والعرب واليهود الذين أوقدوا حرب الأحزاب ، التي انتهت بهزيمة قريش وبقية القبائل العربية المتحالفة معها من جهة ، والقضاء على يهود المدينة قضاءً مبرماً من جهة أخرى ، فالصلح تم بعد انتصار المسلمين والاعتراف بهم باعتبارهم قوة كبرى في الجزيرة العربية .

ثانياً : لقد أوضح الرسول -صلى الله عليه وسلم- النتائج العملية للصلح مع مشركي قريش ، وأن هذا الصلح كان فتحاً للمسلمين بعد أن توهم بعض المسلمين أن صلح الحديبية لم يكن فتحاً لعدم تحقق الغاية المعلنة وهي الطواف بالكعبة وذبح الهدي في مكة ، ثم نزلت سورة الفتح وهم في طريق العودة إنا فتحنا لك فتحا مبينا [الفتح : 1] وقال عنها الرسول -صلى الله عليه وسلم- : لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهيَ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ، وقال رجل : يا رسول الله ، أفتح هو ؟ قال : نعم ، والذي نفسي بيده إنه لفتح [2] ، فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح ورضا ، وطابت نفوسهم بذلك .

إن مما يحز في النفس أن واقع ما أشار إليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الفتح للمسلمين هو ما حصل لليهود في هذا العصر ، فالعرب المسلمون هم الذين يسعون إلى الصلح خوفاً من الحرب ، ويعلنون في وسائل إعلامهم تلك الخدعة الكبرى دعوى الأرض مقابل السلام ! ! هذه الكلمة التي تحمل معاني كثيرة ، ومن

تلك المعاني : إعطاء الأرض مقابل الأمان ، أي : التسليم لليهود بفلسطين أو بجزء منها مقابل أن يترك اليهود العرب في أمان ! ؛ يأكلون كما تأكل الأنعام بعد أن هزموا في جميع معاركهم التي أشعلت مع اليهود مباشرة أو غير مباشرة بقيادة رجال يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة .

ثالثاً : من عجيب الأمر أن يتم الاستدلال بصلح كان غايته التمكين للمسلمين بصورة أو بأخرى من دخول دار المشركين (مكة حينئذ) ، على شرعية معاهدات غايتها التمكين لليهود بكل الصور في ديار المسلمين .

إن صلح الحديبية تم بدون تفريط في الأرض المسلمة وبدون إعطاء حق للمشركين في أرض المسلمين ، وإنما هو توقيف للحرب فترة معينة ، أما الصلح الذي تم مع اليهود فهو صلح أعطى لليهود الشرعية باغتصاب أرض المسلمين والسماح ليهود العالم بالتجمع فيها ، فهو صلح يبيع المقدسات والأرض مقابل وقف الحرب ؛ لينعم أولئك الذين يرغبون في الحياة الدنيا وزينتها في ظل السيطرة اليهودية النصرانية ، بل إن هذا الصلح فرض على العرب المسلمين المساهمة في تنمية القدرة الاقتصادية اليهودية والتمكين لدولة اليهود بتوسيع رقعتها الاقتصادية : من خلال فرض الإتاوة اليهودية بالمساهمة فيما يعرف بتنمية الأراضي المحتلة من خلال ميزانية الدولة اليهودية ، والمساهمة في إنشاء بنك للتنمية للشرق الأوسط تحت زعامة وقيادة اليهود على أن يشارك في أمواله العرب أغنياؤهم وفقراؤهم .

رابعاً : أن صلح الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يمنع المسلمين من التحرك العسكري وبسط النفوذ ، بل إن الصلح كان وسيلة للقضاء على التحالفات السابقة مع قريش حتى يمكن إضعاف قدرة قريش على المقاومة ، ولهذا : فإنه في أقل من شهر من عودة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة شن حربه على اليهود في خيبر (حلفاء قريش في معركة الخندق الأحزاب) ، وقد كانت نتيجة معركته مع اليهود أن حقق الرسول -صلى الله عليه وسلم- السيطرة الكاملة على المناطق الشمالية للمدينة ، وبالتالي : حقق الأمان للمدينة .

أما الصلح مع اليهود : فقد قيد العرب من العمل على تحقيق القوة العسكرية بمنع التطوير العسكري ؛ وذلك بالعمل على حظر بيع الأسلحة للدول الإسلامية ، وإذا تم بيع معدات حربية فهي ضمن حدود السيطرة النصرانية ، ومن ثم : فإن الأجنبي هو المتحكم في تشغيلها وصيانتها وتأمين قطع الغيار لها ، ولا يسمح بوجود صناعات محلية تؤمن حتى الذخائر وقطع الغيار لهذه الأسلحة ، وبالتالي : فإن بيع الأسلحة للدول العربية والإسلامية ينحصر في نوع الأسلحة الدفاعية المتخلفة بدون تحقيق تقدم صناعي حربي لهذه الدول ، بل إن اقتناءها يُحَمّل الاقتصاد الإسلامي والعربي أعباءً كبيرة وإهداراً للقدرات المالية المسلمة ، بدلاً من أن يكون تنمية للقدرات الدفاعية المسلمة مرتبطاً بالتنمية الصناعية وبالاستغناء عن الدول النصرانية ، وفي الجهة المقابلة : فإن اليهود يحصلون على جميع أسلحة الدمار الشامل ووسائل التقدم التقني ؛ فعقود التطوير للأسلحة بمختلف أنواعها قائمة ، بل إن دولة العدو اليهودي أصبحت من الدول المصدرة للتقنية العسكرية المتقدمة ، بجانب ذلك : فإن الصلح أعطى لليهود حرية جلب اليهود من مختلف أنحاء العالم وتقوية الروابط السياسية والاقتصادية مع مختلف الدول ، مما سوف يوسع قاعدة نفوذ العدو اليهودي ، ويقلل من قدرة العرب والمسلمين على اختراق النفوذ اليهودي.

خامساً : أن صلح الحديبية لم يقيد الأمة بشن الحرب على قريش من أولئك المستضعفين الذين كانت قريش تحول دون إظهارهم للإسلام ؛ فقد كان من شروط الصلح أن المسلمين يردون من قدم عليهم مسلماً ولا ترد قريش من جاءها مرتداً ، وقد كان تعليل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقبول هذا الشرط : أن من ذهب

منا إليهم : فأبعده الله ، وليس منا بل هو أولى بهم ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم : فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ، فلم يكن هذا الشرط مانعاً للمسلمين من البحث عن مخرج ، وبالتالي : منع القوى المعارضة لهذا الشرط من نقضه ، فقد بدأت المقاومة لهذا الشرط حينما قدم أبو بصير إلى المدينة هارباً من قريش ، ووفق شروط الصلح رده الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى قريش ، لكنه استخلص نفسه منهم بقتل أحد الحارسين له خلال أخذهم له إلى مكة ، وكوّن مجموعة أخذت تقطع طرق عير قريش ، بل إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينما استخلص أبو بصير نفسه منهم وخرج من المدينة بموجب توجيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال تلك العبارة المشجعة : ويل أمه ! مسعر حرب لو كان له أحد [3] وهي كناية عن قوة هذا الرجل وإشعار للمسلمين بضرورة مساعدته واللحاق به ، مما اضطر قريشاً إلى الطلب من الرسول إلغاء هذا الشرط .

أما الصلح الحالي ؛ فإن من أهم شروطه : العمل على تأمين وتحقيق الأمان لليهود ومحاربة كل من يسعى إلى حرب اليهود ، وبالأخص من يسعى إلى إعلان الجهاد ومحاربة اليهود على أساس عقدي .

---

(1) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص491 ، 496 ، والسيرة النبوية الصحيحة ج2 ص451 ، 452 .
(2) أخرجه أبو داود : سنن أبي داود مع معالم السنن ج3 ، ص174 ، والإمام أحمد : 3/420 ، وعند مسلم أن الرجل الذي سأل الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ؛ مسلم ح/1785 ، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية .
(3) البخاري : كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، ح/2731 ، 2732 وانظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص491 ، 496 ، والسيرة النبوية الصحيحة ج2 ، ص451 ، 452 .

دراسات تربوية قرآنية

صور من لبس الحق بالباطل
(3)

عبد العزيز بن ناصر الجليل

مدخل :

بعد بيان معنى اللبس والتلبيس وأنه إلباس الهوى والشهوة لبوساً شرعياً بتحريف الأدلة أو كتا ، ثم بيان الأسباب التي تؤدي إلى لبس الحق بالباطل والمؤدية بدورها إلى الضلال والإضلال ، نذكر هنا بعضاً من صور اللبس والتضليل ، وذلك لنحذر من الوقوع فيها بأنفسنا ، ونحذر إخواننا المسلمين من الوقوع فيها والانخداع بها ، ولم أراع في ترتيبها الأهمية ، لكن حسب ما عنّ في الخاطر ، أسأله (سبحانه) التوفيق والسداد في القول والعمل ، ومن هذه الصور ما يلي :

1- الاحتجاج على شرعية الأنظمة المبدلة لشرع الله والمستحلة لما حرم الله بآثار عن السلف (رضي الله عنهم) أنه : كفر دون كفر :

وهذا ، والله تحريف للأدلة عن مواضعها ، وإنزال الحكم في غير محله ، وافتراء وتجن على سلفنا الصالح وخير القرون في هذه الأمة ، فما كانوا عن عصرنا يتحدثون ولا أنظمته المبدلة لشرع الله يقصدون ، فالله المستعان ، ومن أحسن ما رأيت من الردود على هذا التلبيس ما كتبه الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله) ، ومما قاله : وهذه الآثار عن ابن عباس وغيره مما يلعب به المضللون في عصرنا من المنتسبين للعلم ومن

غيرهم من الجرآء على الدين ، يجعلونها عذراً أو إباحة للقوانين الوثنية الوضعية التي ضربت على بلاد المسلمين [1] .

فاللهم إنا نبرأ من هذا اللبس ونبرئ صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعين لهم بإحسان من هذا التلبيس وهذه المغالطات ، وإنه لا أحد ينزل قول ابن عباس (رضي الله عنه) أو غيره من السلف على المبدلين لشرع الله في زماننا هذا إلا رجل سيطر عليه الجهل بالواقع فلا يعلم ما يدور من حوله ، أو رجل منافق ملبس يعلم واقعه وعدم مشابهته للواقع الذي كان يتحدث عنه ابن عباس (رضي الله عنه) ، ولكنه يغالط ويخلط الحق بالباطل اتباعاً للهوى وطمعاً في دنيا يصيبها ؛ فإنه لم يحدث قط في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكماً وجعله شريعة يتحاكم إليها الناس .

2- الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ، والرضى بالذل والمهانة :

وهذه الصورة من صور اللبس والمغالطة ليس القصد من إيرادها هنا الرد على المحتجين بالقدر على ضلالهم ومعاصيهم ، وإنما المقصود التنبيه على أن من يحتج بالقضاء والقدر ليبرر به انحرافه وكسله وضعفه إنما هو مغالط وملبس ومدلس ، وموضوع الرد على المحتجين بالقدر موجود في مظانّه من كتب العقيدة الصحيحة لدى سلفنا (أهل السنة والجماعة) ، مثل : العقيدة الواسطية ، ومعارج القبول ، والعقيدة الطحاوية .. إلخ ، والمراد هنا : كشف اللبس الحاصل بين الحق والباطل في هذه المسألة ، حيث إن المحتج بالقدر على فعل المعاصي والإصرار عليها قد وقع في لبس عظيم ، ويعلم هو بنفسه أن احتجاجه ليس في محله ، وإنما أورده لتبرير شهوته وضعفه بدليل أنه في أمور الدنيا وكسبها لا نجده يقعد محتجاً بالقدر، وأن الله (سبحانه) كتب عليه الفقر أو الجوع أو عدم الزواج ، بل إنا نجده يسعى ويفعل الأسباب الممكنة لدفع كل ذلك ، فلماذا لا يوجد هذا الدفع أيضاً في أمور الدين وأمور الآخرة فيسعى للآخرة سعيها ، ويأخذ بأسباب الهداية وأسباب النجاة من النار ، وهي ميسرة لمن أرادها ؟ ! ، لماذا هو جبري في أمور الدين والآخرة ، وقدري في أمور الدنيا ؟ .

وقريب من الذين يحتجون بالقدر على فعل المعاصي والرضى بالواقع أولئك الذين يتجرؤون على فعل المعاصي اعتماداً على رحمة الله (سبحانه) ، نعم إن الله غفور رحيم ، ولكن ليس مقتضى هذه الرحمة أن يتجرأ هذا الملبس على المعصية ، وإنما المقصود منها : فتح باب التوبة والرحمة لمن وقع فيها وانتهى وندم ، فيقال له: لا تيأس ؛ فإن الله غفور رحيم .

3- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله

خوف الابتلاء وتعريض النفس للفتن :

هناك من يترك الأمر والنهي عجزاً وكسلاً وجبناً وبخلاً ، لكن لا يريد أن يعترف بهذه الصفات الذميمة ، فبدلاً من الاعتراف بها والسعي للتخلص منها فإنه يحاول جاهداً في تغطية ضعفه هذا بمبررات شرعية ، منها : الخوف من الفتن واعتزال كل ما يعرض النفس للابتلاء والفتنة والهلكة ودرء المفاسد ، معتمداً على قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح والضوابط الشرعية في ذلك ، فمقصودنا هو كشف اللبس والتدليس والمغالطة على النفس وعلى الناس في أن النكول عن الأمر والنهي قد تم من منطلق شرعي وضوابط شرعية ، والأمر في حقيقته ليس كذلك ، وإنما هو الخوف والجبن وإيثار السلامة وعدم تحمل أي أذى أو مكروه في سبيل الله (عز وجل) ؛ يقول الإمام ابن تيمية (رحمه الله) : ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل

الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة : صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة ، كما قال [تعالى] عن المنافقين : ومنهم من يقول : ائذن لي ولا تفتني ، ألا في الفتنة سقطوا [التوبة : 49] [2] .

فلا يصح لقائل أن يقول أنه يجب الابتعاد في الدعوة إلى الله (سبحانه) عن كل ما من شأنه أن يجر على الداعية الأذى والمحن ! ، إن صاحب هذا القول قد نسي أو تناسى سنة الله (عز وجل) في الصراع بين الحق والباطل ، وسنته (سبحانه) في الابتلاء والتمحيص ؛ قال (تعالى) : ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين* وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين [العنكبوت : 10 ، 11] .

نعم إن من بيننا من يريد المغنم من الدعوة ولا يريد المغرم ، بدليل عدم الإعداد والاستعداد لأي أذى يعترضه في الطريق ولو كان قليلاً ، وإنما مادام الأمن والسلامة والراحة فهو نشيط ومتحرك ، فإذا ظهرت المحن وبدايات الابتلاء والتمحيص آثر السلامة والراحة ، وعلل ذلك بالابتعاد عن الفتن ودرء المفاسد .

ولا يعني ما سبق من الكلام أن يبحث الداعية عن الأذى والابتلاء ، كلا ، فالمطلوب سؤال الله العافية وعدم تمني البلاء ، كما لا يفهم منه أيضاً الدعوة إلى التهور والطيش معاذ الله ، فلابد من وجود المنطلقات الشرعية في كل التصرفات ، لكن المراد أن لا نغفل عن سنة الله (سبحانه) في ابتلاء المؤمنين ، وأن نوطن أنفسنا على هذه الأمور ، لأنه لابد منها لكل من ادعى الإيمان وتصدّر للدعوة والجهاد ، ولابد منها ليتميز الخبيث من الطيب ، ولابد منها لتمحيص القلوب والصفوف ، ولو قلبنا تاريخ الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، وتاريخ الدعاة والمصلحين لرأينا ذلك المعلَم ظاهراً وقاسماً مشتركاً عندهم جميعاً .

وقريب من هؤلاء أولئك الذين يبررون كسلهم وحبهم للراحة وضعف همتهم بالتواضع البارد والزهد في المسؤولية ، لأنه يعرف أن الدعوة إلى الله (سبحانه) لا يعرف صاحبها الراحة ، وتحتاج إلى همة عالية ، لكنه عوضاً من أن يعترف بضعفه هذا ، فإنه يغالط نفسه وغيره ، ويسعى إلى ترقيعه بإلقاء هذا الضعف على الخوف من المسؤولية واحتقار النفس ، وأن هناك من هو أولى وأتقى وأفضل .. إلخ .

4- المداهنة وضعف الولاء والبراء بحجة المداراة والتسامح ومصلحة الأمة :

إن الخلط بين المداراة والمداهنة ، والتميع في الولاء والبراء بحجة التسامح ، كل ذلك ينتج عنه آثار خطيرة على الدين وأهله ، وذلك بما يفرزه هذا الخلط واللبس من المغالطة والتضليل على الأمة في أن ما يقع من الملبسين من مداهنة وموالاة لأعداء هذا الدين إنما هو مداراة .

وإيضاحاً لهذا الأمر : أنقل كلاماً لأهل العلم يزيل اللبس في مسألة المداراة والمداهنة ومسألة الولاء والتسامح .

قال البخاري (رحمه الله) في باب المداراة مع الناس : ويذكر عن أبي الدرداء: إنا لنكشر في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم ، وعن عائشة (رضي الله عنها) أنه استأذن على النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل فقال : ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت له : يا رسول الله ، قلت ثم ألنت له في القول ، فقال : أي عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله مَن تَركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه [3] .

ويعلق ابن حجر (رحمه الله) على حديث عائشة بقوله : قال ابن بطال :

المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة ، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط ؛ لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة ، والفرق : أن المداهنة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه ، حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، لا سيما إذا احتيج إلى تألفه، ونحو ذلك [4] .

ومن هذا يتبين ما هي المداراة وما هي المداهنة ، وأنهما ضدان لا يجتمعان ، إذ إن المداراة صفة مدح وهي لأهل الإيمان ، بينما المداهنة صفة ذم وهي لأهل النفاق ، فهل بقي بعد هذا البيان مجال للالتباس في هذا الأمر ؟ ! .

ثم إن مكمن الخطر في هذا الخلط ليس في مداهنة الفساق وأهل المعاصي من المسلمين فحسب ، وإنما الأخطر من ذلك هو : مداهنة الكفار بمشاربهم المختلفة تحت غطاء المداراة ومصلحة الأمة ، حتى اهتز جانب الولاء والبراء الذي هو الركن الركين في عقيدة التوحيد وبدأ حاجز البغض للكفر وأهله يضعف ، بل اهتز عند بعضهم ، والسبب في ذلك : الجهل بحقيقة المداراة والمداهنة ، أو المغالطة فيهما عن علم وهوى .

5- الانفتاح على الدنيا والركون إليها ، بحجة التعفف عن الناس وإنفاق المال في وجوه الخير :

وفي هذه الصورة مدخل خفي للشيطان يتسرب منه إلى نفس الإنسان ، يبلغ اللبس في هذا الأمر من الخفاء بحيث لا يفطن له إلا المجاهد لنفسه، المفتش لقلبه ، الحذر الخائف من الدنيا وغرورها ، ومكمن اللبس هنا في أن التعفف عن الناس أمر مطلوب ، ويحث عليه الشرع في أكثرمن آية وحديث ، وكذلك الإنفاق في سبيل الله وبذل المال في أوجه البر المختلفة ، كل هذا حق لا ريب فيه ، لكن الشيطان لا يألو جهداً في إغواء بني آدم وجرهم إلى حزبه خطوة خطوة ، ولهذا : فهو يبدأ مع الإنسان ليجره إلى الدنيا وغرورها من باب التعفف عن الناس ، ومساعدة المحتاج ، وإغاثة الملهوف .. إلخ ، ثم بعد ذلك ، وبعد إشغاله بالمال وطرق جمعه ومشاكله وشبهاته نبحث عن صاحبنا الذي كنا نراه في لقاءات الخير والدعوة إلى الله (سبحانه) فلا نراه إلا قليلاً ، وهكذا ، حتى ينفتح على الدنيا ، ويركن إليها ، ويضع له الشيطان في كل وادٍ من أوديتها شغلاً وهماً يتشعب فيهما الفكر ، ويتشتت فيهما الذهن ويتحول المال المكتسب إلى استثمارات جديدة وتوسع في المباحات وإسراف في المآكل والمراكب والمساكن ، وقد كان الهدف في البداية هو التعفف والإسهام في وجوه الخير والبر ، والغريب في الأمر أن هذا المغالط عندما يذكّر بالآيات التي تحذّر من الدنيا ، وسرعة زوالها ، وخطر الركون إليها ، فإنه بدلاً من أن يشعر بالخطر ويسعى لتدارك الأمر ؛ فإنا نجده يصر على المغالطة واللبس ، ويقول : إن التعفف عن الناس مطلوب ، ولابد للداعية أن يكون له مصدر يستغني به عن الناس وينفع به دعوته ، ويساهم في الخير ، وهو يعلم أن ليس هذا قصده ، وإنما أراد تغطية حبه للدنيا والركون إليها بهذا الغطاء الشرعي الذي لم يراع الضوابط الشرعية فيه .

وقد يقول قائل : إذن ، ما العمل في مثل هذه الحالة وبخاصة لمن أراد صادقاً أن يتعفف عن الناس وأن ينفع دعوته بالمال ؟

والجواب لا أملكه ، لأنها معادلة صعبة يختلف حلها من شخص لآخر ، ويكفي في حلها أن يعلم الله (سبحانه) من أنفسنا أننا نريد التعفف والبذل بصدق في سبيل الله (سبحانه) ، فعندئذ يحمينا برحمته من الدنيا وزخرفها ، ويخرجها من قلوبنا لتبقى

في أيدينا ، وكل إنسان على نفسه بصيرة .

6- الاحتجاج بيسر الشريعة وضغط الواقع :

إن القول بيسر الشريعة وسماحتها حق لا شك فيه ، ولكن الاحتجاج بهذا التيسير للتفلت من أحكام الشريعة والتحايل عليها ، واتباع الهوى في الأخذ بالرخص والشذوذات الفقهية ، كل هذا باطل وتلبيس وتضليل ، يتبنى ذلك أهل الأهواء الذين يتبعون الشهوات ، يريدون بذلك تحلل المجتمع المسلم من أحكام الشريعة باسم التيسير وترك التشديد ، وصدق الله العظيم : ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ [النساء : 27].

ومن رحمة الله (عز وجل) أنه لم يكل مصالح العباد إلى أهواء البشر وشهواتهم ، بل وضع (سبحانه) شريعة كاملة مبرأة من الجهل والهوى ، ومبرأة من النقص والقصور ، لأن مصدرها منه (سبحانه) الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، ولو أن تقرير مصالح العباد كان في أيدي البشر لحصل من ذلك شر وفساد كبير ، وذلك لما عليه البشر من الجهل والنقص والهوى والشهوة ، وهذا مشاهد في الواقع ؛ فالمجتمعات التي لا يحكمها شرع الله (سبحانه) وتحكمها أنظمة البشر وقوانينهم نرى فيها من الفساد والشرور والظلم والاستعباد والضنك والضيق ما تعج منه الأرض والسماوات ، وتبرأ منه الوحوش في البريات ، وصدق الله العظيم :
﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ [المؤمنون : 71]

إن الذين يتشدقون بالتيسير ويغالطون به بغير علم ولا هدى من الله (سبحانه)، لو كان الأمر بأهوائهم لعطلوا كثيراً من أحكام الشريعة التي قد يُظَن فيها المشقة والضيق مع أن مآلها اليسر والسعادة في الدارين ، فالله (سبحانه) الرحيم بعباده ، هو الذي يعلم ما يصلح شؤونهم ، وييسر أمورهم ، ويعلم ما يشق عليهم وما لا يشق ، إنه حكيم عليم .

7- التشهير بالدعاة والمصلحين واغتيابهم بحجة النصيحة والتحذير من الأخطاء :

عن أبي برزة الأسلمي ، والبراء بن عازب (رضي الله عنهما) ، قالا : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه : لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته [5] .

والمقصود من إيراد هذه الصورة هو الحذر من تزيين الشيطان وتلبيسه في إظهار الغيبة أو النميمة أو التشهير في قالب النصيحة ، والتحذير من الأخطاء والغيرة على دين الله وتعظيم حرمات الله (عز وجل) ، إن هذا هو الخطير في الأمر: إذ لو أن الواقع في الغيبة أو النميمة أقر بذنبه ، واعترف بتقصيره ، واستغفر ذنبه لكان الأمر أهون ، أما أن يكابر ويلبس على نفسه وعلى الناس بأن قصده النصيحة للأمة وتحذيرها من الأخطاء ، وهو يعلم من نفسه غير ذلك من التشفي أو الحسد أو التهوين من شأن من وقع منه الخطأ وتنفير الناس عنه ، فكل ذلك من المغالطة وتلبيس الشيطان وتزيينه ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) :
ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى ، تارة في قالب ديانة وصلاح ، فيقول : ليس لي عادة أن أذكر أحداً إلا بخير ولا أحب الغيبة ولا الكذب ، وإنما أخبركم بأحواله ، ويقول : والله إنه مسكين ، أو رجل جيد ولكن فيه كيت وكيت ، وربما يقول : دعونا منه ، الله يغفر لنا وله ، وإنما قصده استنقاصه ، وهضماً لجنابه ، ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة ، يخادعون الله بذلك ، كما يخادعون مخلوقاً ، وقد رأينا فيهم ألواناً كثيرة من هذا وأشباهه ، إلى أن قال : وربما يذكره

عند أعدائه ليتشفوا به ، وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه ، ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر ، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول ، وقصده غير ما أظهر ، والله المستعان [6] .

فلا مدخل لملبّس ومغالط في إظهار حقده وتشفيه وحميته لنفسه في قالب النصح والديانة ، وكل إنسان أدرى بنفسه وقصده .

ولكن يبقى هناك بعض القرائن التي تكشف هذا اللبس والخداع في نفس المدعي للنصح والديانة ، منها :

1- التشهير والتعيير بالمنصوح ، خاصة إذا كان من المصلحين وأهل العلم .

2- الظلم ، وعدم الإنصاف مع المنصوح ، وبخسه حقه ، وإخفاء خيره وحسناته .

3- عدم التثبت ، والأخذ بالشائعات ، وتصيد الأخطاء والفرح بها .

4- تغليب سوء الظن ، وتفسير المقاصد بدون دليل وبرهان .

5- أن يكون قد عرف عنه الكذب وقلة الورع .

6- المداهنة للظالمين والركون إليهم .

8- التلبيس على الناس برفع لافتات إسلامية تخفي وراءها الكيد للدين وأهله:

إن من أخطر ما يهدد الأمة في عقيدتها وأخلاقها أن تعيش في جو من اللبس والتضليل والخداع ، فلا ترى الحق بصورته المضيئةولا الباطل بصورته القاتمة المظلمة ، بل قد يصل بها المكر والخداع إلى أن ترى الحق باطلاً والباطل حقاً ، ويلتبس سبيل المجرمين بسبيل المؤمنين ، ومن أعظم الالتباس بين السبيلين أن يقوم المجرمون من أعداء المسلمين سواء من الكفار الصرحاء أو المنافقين الدخلاء برفع لافتات ، ظاهرها الإسلام ومحبة الدين والدعوة إليه ، وباطنها الكيد والمكر والخداع ، ويحصل من جراء ذلك : أن يُخدع كثير من المسلمين بهذه اللافتات فينشغلون بها ، ويثنون على أهلـها بدلاً من فضحها وكشف عوارها وتعرية باطلها، وعن خطورة التباس سبيل المجرمين بسبيل المؤمنين ، يقول ابن القيم (رحمه الله) : فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما ؛ كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، وهذا من كمال علم عمر (رضي الله عنه) ، فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها ، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، فإنه من الجاهلية ، فإنها منسوبة إلى الجهل ، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل ، فمن لم يعرف سبيل المجرمين ، ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين ، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل ، هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل ، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ، ودعا إليها وكفر من خالفها واستحل منه ما حرمه الله ورسوله [7] .

وقد قص الله (سبحانه) علينا في كتابه الكريم قصة قوم من المنافقين أرادوا خداع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المؤمنين برفع لافتة إسلامية على صرح من صروح النفاق ، لكن الله (عز وجل) فضحهم وفضح لافتتهم وعرّى باطلهم ، ليكونوا عبرة للمسلمين في وقتهم ، وعبر التاريخ الطويل لمن يأتي بعدهم ممن يرفع لافتة إسلامية يخفي وراءها خبثه ومكره ، ويكيد بها المسلمين في أي زمان ومكان ، وهذه القصة ذكرها الله (سبحانه) في سورة التوبة بما يعرف بمسجد الضرار ، حيث أنزل فيها قرآناً يتلى إلى قيام الساعة ، قال (سبحانه) : والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً .

لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين [التوبة : 107108] ، واللافتات المرفوعة اليوم كثيرة وماكرة ، أقتصر منها على بعض الأمثلة :

ما يرفعه الذين بدلوا شرع الله (عز وجل) ورفضوا التحاكم إليه في بلادهم من لافتات يخدعون بها شعوبهم المسلمة ، مثل إقامة الذكرى السنوية لإحراق المسجد الأقصى المبارك ، فترى هؤلاء المجرمين الخائنين لله (سبحانه) ورسوله -صلى الله عليه وسلم- يخدعون المسلمين بإحياء ذكرى حرق المسجد الأقصى كأنهم يهتمون بالمسلمين ومقدساتهم ، وهم قد خانوا الله (سبحانه) من قبل بتنحية شريعته واستحلال محرماته ، وخانوا أمتهم بعد ذلك بالتذلل لليهود والنصارى ، وما أصدق ما قاله الشيخ عبد الرحمن الدوسري (رحمه الله) في محاضرة له مسجلة : إن إحراق المسجد الأقصى بل إحراق مساجد الدنيا كلها ليس أعظم جرماً من الاعتداء على شرع الله وحكمه وسلطانه في الأرض من قبل الأنظمة التي تتباكى على الأقصى وإحراقه .

---

(1) عمدة التفسير ، ج4 ، ص156158 .
(2) مجموع الفتاوى ، ج28 ، ص168 .
(3) البخاري ، كتاب الأدب ، وانظر : فتح الباري ، ج10 ، ص528 .
(4) فتح الباري ، ج10 ، ص28 .
(5) رواه الترمذي وأبو داود ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (5044) .
(6) مجموع الفتاوى ، ج28 ، ص237238 .
(7) الفوائد ، ص109 .

خواطر في الدعوة

وإخوانهم يمدونهم في الغي
(2)

محمد العبدة

ماذا نسمي الذين يريدون إبعاد الأمة عن هويتها وحضارتها ، وعن عزها ومقوماتها ، بل الذين يريدون اقتلاعها من جذورها لتقع فريسة لأعدائها ، أو لأمشاج مختلطة من الزيف والانحطاط الفكري والأخلاقي ، إنهم يسمون أنفسهم بأسماء شتى: الحداثيين ، التنويريين ، العلمانيين ولكن اسمهم الحقيقي المنافقون ؛ لأنهم يتظاهرون بالإصلاح وهم مفسدون (ولكن لا يشعرون) ويتظاهرون بالثقافة (ولكنهم لا يعلمون) ، هؤلاءالذين يبصبصون عندما يرون أسيادهم ، فيقولون مثل قولهم ، فإذا قال أسيادهم : إن الصحوة الإسلامية سببها المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها بعض الدول : رددوا أقوالهم ، وطالبوا بدعم الدول المحاربة للإسلام حتى ينحسر التدين أو ما يسمونه (الأصولية) وهذه شنشنة معروفة عند المستشرقين الذين عاشوا في القرن الماضي ، والذين يقولون (بسماجة عجيبة) : إن محمداً اتبعه الفقراء ، لأنه نادى بالإصلاح الاجتماعي ، أي إنه استغل الظروف الاقتصادية والاجتماعية ليجمع الناس على هذا الدين ، ثم جاءت صحافة الغرب ليدندن كتابها حول هذا الموضوع ، وكثير منهم يتميز بالسطحية والخبث في معالجة شؤون الإسلام ، فيأتي المنافقون من بني جلدتنا ليرددوا أقوالهم ، ولو أن فيهم مسكة من عقل أو ذرة من إنصاف لعلموا أن الذين أسلموا مع محمد -صلى الله عليه وسلم- كان فيهم التجار الأغنياء كأبي بكر ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعثمان بن عفان ، وفيهم الفقراء ، وفيهم الأشراف والموالي ، ولكن أنّي لمن لم يذق طعم الإيمان أن يحس برابطة الدين ، وفي هذا العصر نجد الذين أقبلوا على الالتزام بالإسلام

وحمايته ونصرته ، فيهم التجار الأغنياء ، والشباب الذين عاشوا في النعيم ، وفيهم أساتذة الجامعات ، وكبار الموظفين ، وفيهم القضاة ، والكتاب ، فهل كل هؤلاء (صعاليك) عندهم مشاكل اقتصادية ؟ ! .

إن هوية هذه الأمة : الإسلام ، ولسانها : العربية ، فمن يحارب هذا فلابد أن يسمى باسمه الحقيقي ؛ إنهم يخونون أمتهم وحضارتهم ، يقول الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان : المنافقون الذين فيكم اليوم شرّ من المنافقين على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قلنا : وكيف ؟ ، قال : أولئك كانوا يخفون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه [1] .

إننا لم نر أو نسمع في أمة معاصرة أن قام نفر من أهـلها يطالبون بالانسلاخ عن حضارتها ودينها وتقاليدها ، ويحاربون ثقافة بلدهم أشد المحاربة ، كما يفعل هؤلاء الذين يعيشون بين أظهرنا ؛ روى البخاري [2] عن ابن عباس قال : يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب ؟ ! ... ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذي أنزل إليكم ، وإن في الغرب اليوم وبخاصة في أمريكا من يدعو للعودة إلى الدين ، يقول أحدهم : أرى أن تربية الأطفال اليوم لا تتم بشكل جيد ، أحبذ إدخال التربية الدينية إلى المناهج ، ولكن يبدو أن علمانيينا (المنافقين) مازالوا يعيشون في أجواء القرن التاسع عشر الأوروبي ، حيث كانت موجة الإلحاد والماركسية والوجودية ، ولم يسمعوا بما يجري في نهاية القرن العشرين ، أو لا يحبون أن يسمعوا .

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص28 .
(2) البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك ج3 ص163 .

مقال

مسلماتنا بين الثابت والمتحول

عبد العزيز كامل

من تناقضاتنا التي نعيشها اليوم نحن المسلمين أننا أصبحنا من حين لآخر نفاجأ بمقولات أو آراء ، أو مواقف تهجم علينا كالصاعقة أو الصدمة المذهلة المحيّرة ، التي تحتاج لمجرد الإفاقة من وقعها وقتاً للعودة إلى التوازن ، وما ذلك إلا لأنها تضرب فينا عصباً مكشوفاً ، أو وتراً حساساً ، أو شعوراً مستقراً .

إنها كالماء الشديد البرودة الذي ينهمر على جسدك في زمهرير الشتاء ، إذا فتحت خطأً صنبور الماء البارد بعد أن استكان الجسم واستروح لذة الدفء .

لسنا نقصد هنا صدمات ومفاجآت المتلونين من العلمانيين على اختلاف توجهاتهم وتقلباتهم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، فهؤلاء لا يستغرب منهم ذلك ، لأنهم لا ثوابت لديهم ! ، ولا أصول ولا عقائد مستقرة لهم ، وإنما همنا وحديثنا عن تلك الظاهرة الطارئة الدخيلة علينا نحن الإسلاميين ، التي سببتها كثرة التناقضات الفكرية ، والمشاحنات الحزبية ، وكذلك ما انبنى عليها من آراء استفزازية وردود كيدية ، وأيضاً ما كثر أخيراً من الآراء السياسية ، انتهازية كانت أو اضطرارية أو إرضائية .

لن نقف طويلاً للإسهاب في استعراض بعض هذه الصدمات والصعقات والكدمات ، ولكن تكفينا إطلالة سريعة على العديد من قضايانا الأساسية والمحورية لنتفقد ما أصاب ثوابتها من دخن ، وما اعتراها من دخل ، اهتزت له قناعات ، وخفقت وخمدت بسببه أصوات وحركات .

* خذ مثلاً : قضية الصراع مع العدو اليهودي ، أو ما أطلق عليه إعلامياً :

(الصراع العربي الإسرائيلي) ، تلك القضية التي لن نلوم على التفريط فيها عصابات العلمانيين بعد أن رفعوها ثم أنزلوها ثم دفنوها ، لن نلومهم لأنهم ليسوا لها ولا أهلها ، إنما نتحير من ذلك التغير الذي بدأ يعتري ثوابتها لدينا نحن الإسلاميين!، كم هي الثوابت التي كانت حتى عهد قريب مستقرة لدينا ، مستعصية على أي محاولة للالتفاف أو الالتفات أو التزييف ، استعرض بذاكرتك هذه الثوابت فهي معروفة وتأمل فيما طرأ عليها وهو معروف أيضاً فستجد أن كل قائم ثابت من تلك الثوابت قد أصيب بسهم غرر من إحدى كناناتنا ، أو بصاروخ من إحدى قواعدنا .

أين نحن الآن من وضع اليهود على رأس قائمة الأعداء ، واعتبارهم أهل حرب دائمة وشاملة ، وتحريم السلام الدائم الشامل معهم ، وعدم إقرارهم على أي جزء من أرض المسلمين ، ووجوب نصرة المجاهدين الفلسطينيين ضدهم ، وتحريم الهجرة الجماعية لإخلاء الأرض أمامهم ، أين نحن من تحريم وتجريم الاعتراف بدولتهم وتخوين الاتصال بقادتهم .. دقق النظر في كل تلك الثوابت ، تجد أنها كلها أو جلها قد قيل فيها قولان ! ! ، أو انتطح فيها عنزان ، أو اختلف فيها نظران .

* وإذا أردت مثالاً آخر لقضية ما كان لنا أن نُخضع ثوابتها لرياح الاختلاف؛ فأمامك قضية تحكيم الشريعة في حياة المسلمين ، والموقف من المناوئين لها ، المحاربين لأهلها ، والمصرين على الحكم بغيرها .. انظر كيف تطرق الاختلاف إلى ثوابت كثيرة فيها ابتداء من اعتبارها قضية من قضايا الأصول المرتبطة بالاعتقاد ، ومروراً بضرورة جمع الجهود والقلوب حولها ومعاداة من يجاهر بحربها، بقوله أو فعله .

أليس من العجيب والغريب أن تصدر العديد من الإصدارات لتقرير شرعية الأنظمة المبدلة للشريعة .

ماذا بقي من الثوابت لدينا في هذه القضية ، بعد أن أصبح منا من يردد دعاوى الإرجاف الإعلامي العلماني ، ولا يتورع عن ترديد الأوصاف التي ابتكرها لازدراء العاملين لنصرة دين الله من قبيل : (التعصب التطرف الارهاب التشدد) ؟!.

* سأعطيك مثالاً ثالثاً : كان من الثوابت حتى عهد قريب ، ما يشبه الإجماع بين فصائل الإسلاميين على أن نصرة المستضعفين من المسلمين في كل مكان واجب بالنفس والمال ، وأن تبني قضاياهم ومراقبتها وطرحها وكسب الأنصار لها من أعظم واجبات الدين وأوثق عرى الإيمان .

انظر الآن ، كيف أصبح هذا في نظر بعضهم ، نوعاً من الاشتغال المحرم بالسياسة ، وضرباً من ضروب إلهاء الأمة ، ولوناً من ألوان تدخل المرء فيما لا يعنيه ، والكلام عما يؤذيه ، أو هو شكل من أشكال الشغب على الحكومات والهيئات والمنظمات .. !

بل أصبح من بعضهم من يصف كل جهاد مشروع للذود عن النفس والدين والعرض ، بأنه افتتاح للمزيد من المحارق ، افتعالاً للمعارك ، وإشعالاً للمهالك ! !

سبحان الله ! هل غدا الجهاد فريضة منسوخة أو منسوءة في كل البقاع ، أو سقطت فريضته مع سقوط الخلافة ، فلا يقوم إلا معها ؟ !

إنك إن أردت أن تعدد معي قضايا أخر كثيرة تعرضَتْ لمثل ما تعرضت له أخواتها تلك لما عدمت الحيلة ، ولا أعوزتك الوسيلة ... ويكفيك استعراض العناوين الكبيرة لقضايانا مثل : (الولاء والبراء ، وفرضية اجتماع المسلمين ، والسعي لإعادة كيانهم ، وفرضية العمل لذلك فردياً ، ومشروعيته جماعياً ، وضرورة إنكار المنكر، والصدع بكلمة الحق ... إلخ) .

يكفيك استعراض تلك العناوين وغيرها ، وتأمل ما شاب ثوابتها من اهتزاز ، لتشعر بحجم المشكلة وخطورة المسألة .

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

إنه لابد لنا من حماية ثوابتنا ، والتنادي لإحكام السياج الواقي حولها حتى لا نتيه مع الاختلافات أو نضيع في مفترق التناقضات ، ولا مفر أمام العاملين في الساحة الإسلامية من ضرورة وضع الأطر العامة في برامجهم التربوية لضمان الحد الأدنى من الاتفاق عليها وتأمينها من عوادي التغيير والتحوير والتأويل .. ولعله يتسنى في عدد قادم استعراض بعض الوسائل المعينة على ذلك (إن شاء الله) .

من قضايا المنهج

لمحات في فن الحوار
الحلقة الثانية
[أساليب الحوار]

محمد محمد بدري

مدخل :

ذكر الأخ الكاتب في الحلقة الأولى أهـمية وجود ضوابط للحوار ، وذكر منها : السماع الكامل ، وتجريد الأفكار ، وترك المراء ، والتغافر بين المتحاورين ، والصدق والوضوح في الفكرة والأسلوب ، وضبط مسار الحوار بالعلم والعدل ، والمنطق العملي في الحوار ، والوصول إلى هدف الحوار من أقصر طريق وهو ما أطلق عليه : (الحجة الرأسية) .

وفي هذه الحلقة يتطرق الكاتب إلى أمر آخر في الموضوع ، وهو (أساليب الحوار) .

- البيان -

أساليب الحوار :

إذا كانت ضوابط الحوار تقرر الآداب والأخلاق التي يجب أن نلتزم بها في كل حواراتنا ، وتؤكد على هذه الآداب بإن .. فأساليب الحوار ترشدنا إلى كيف نحقق ضوابط الحوار عبر مهارات نتدرب عليها وتكتيكات نمارسها في واقع حواراتنا حتى لا تصل هذه الحوارات إلى طرق مسدودة أو تكون نتيجتها الوحيدة هي زيادة الفرقة والتناحر ..

ومن هذه الأساليب [1] :

(أ) الإعداد الجيد :

الإعداد الجيد للحوار : هو المقدمة العلمية لتمهيد الأرضيات الفكرية المشتركة بين طرفي الحوار حتى تمر أفكارهم في اتجاهي الأخذ والعطاء دون اصطدامات فكرية ، أو كوارث عملية .

والإعداد الجيد يعني : إعداد المناخ العام للحوار ، والإطار الواضح للتحاور ، من حيث : هدف الحوار ، ونفسية المتحاورين ، ونقاط التحاور .. ثم مراعاة ذلك كله بدقة وحكمة قبل وأثناء وبعد الحوار :

1- هدف الحوار :

ربما لا يعرف بعضنا في أكثر حواراته إلا هدفاً واحداً هو سحق الآخر وإفحامه بل و إذلاله وتلك كارثة حقيقة ، فللحوار أهداف أخرى أهم وأنفع ، منها :

- الحوار الاستكشافي : وهو يهدف إلى التعرف على أفكار الآخرين عن قرب، ومعرفة بواعث أعمالهم وحركاتهم ، وهذا يتطلب إشعارهم بأن حوارنا معهم هو تعبير عن حبنا لهم ورغبتنا في الانتفاع بخبراتهم والتفاعل معها والعمل من خلالها .

- الحوار التسكيني : وهو يهدف إلى تقليل هوة الخلاف مع الآخرين .. وهذا يستوجب منا الصبر والتريث وتجاهل استفزازاتهم ، بل والسماح باستفراغ كل شحناتهم العاطفية دون ردود أفعال منا أثناء هذا التفريغ .. ثم إرساء بعض مبادئ الحوار ، وفي مقدمتها : أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية .

- الحوار التعاوني : وهو يهدف إلى الوصول لحلول لقضايا الخلاف بين طرفي الخلاف ، لتكون هذه الحلول مقدمة لتطوير علاقات التعاون بينهما ، وتعميق وتوسيع نطاق هذه العلاقات في مجالات جديدة .. وهذا يستلزم محاولة الوصول إلى صيغة ترضي الآخرين عبر استقراء الخلفيات الفكرية والنفسية لهم .

- الحوار الحاسم : وهو يهدف إلى حسم الخلاف في الرأي بين طرفي الحوار حول بعض القضايا ، وتقريب خطوط الفكر بينهما إلى خط فكري واحد .. وهذا يقتضي من المحاور عزةً في تواضع ، وثباتاً على المبدأ في رفعه ولين ، واستعلاء بما يحمل من حق مع رحمة وشفقة بالآخرين .

2- نفسية المحاورين :

ترجع نسبة كبيرة من الحوارات الفاشلة إلى عدم معرفة المحاور للطرف الآخر المقابل له معرفة دقيقة ، لأن هذا الجهل يؤدي إلى سوء الفهم بكل تأثيراته السلبية التي تصل إلى حد الانشقاق والفرقة ! !

ومن هنا كانت المعرفة الدقيقة لنفسية الآخر وظروفه وبيئته واهتماماته ومبرراته في التمسك بما يقول .. كل ذلك هو الطريق إلى تحديد الأسلوب المناسب للتحاور معه ، والمفتاح الصحيح لفتح قلبه والقرب منه وضبط أعصابه .

- النفسية اليائسة : وهي نفسية من تعرضوا لإحباطات مستمرة على طريق العمل الإسلامي .. وأسلمتهم هذه الإحباطات إلى يأس مطلق من أي عمل ، وهؤلاء لا يتصورون عملاً يمكنه الوصول إلى التغيير للأفضل ، بل ويكرهون من يحاول القيام بأية محاولة إيجابية للتغيير ، ويجدون متعتهم الحقيقية في رصد تجارب الفشل!!

ولا شك أن الحوار مع هؤلاء يتطلب الحذر الشديد لكي لا يضيع وقت الحوار فيما لا ينفع ، أو يدور التحاور دون الوصول إلى أعمال محددة تبنى على الحوار .. ومن هنا وجب على من يتحاور مع هذا الصنف من النفسيات أن يتحرى عدم الخوض في أي أمر أو موقف من الأمور والمواقف التي سببت لهؤلاء إحباطاً في يوم من الأيام ، لأن هذه الأمور تستثير شهيتهم لترسيخ الإحباط واليأس .. وإنما يكون التركيز في الحوار على ترسيخ اليقين بأن هناك دائماً ما يمكن عمله ، وأن كل عمل مفيد .

- النفسية المُصَنّفة : وهي النفسية التي تميل دائماً إلى تصنيف الآخر وتأطيره بجهالة ودون تروٍ ، بل وتعتبر الآخر عند أدنى مخالفة من معسكر الأعداء الذين يجب التصارع معهم وسحقهم ! ! ولا شك أن التحاور مع أصحاب هذه النفسية يتطلب قدراً من الذكاء والحذر ، ويقتضي إبراز أكبر قدر من مواطن الاتفاق بين الطرفين في بداية التحاور ، لأن ذلك يقلل فجوة الخلاف .. ثم استثمار الفرص للتأكيد على خطأ تصنيفهم عبر إرسال رسالة فكرية تثبت حسن النية والحب للآخر، لأن ذلك يقلل الكراهية .. فإذا ضاقت فجوة الخلاف ، وانحسرت حدة الكراهية من الآخر ، فلابد من الالتزام خلال الحوار بترك الفرصة الدائمة للمخالف ليرجع عن أفكاره مع حفظ ماء الوجه .

إن من نحاوره ونخالفه في الرأي بطريقة صحيحة للحوار والخلاف لا يشعر بالانهزام والإرغام ، بل يشعر بفضيلة انكشاف الحق والرضوخ له دون إرغام من أحد .

والحوار الناجح هو الحوار الذي لا يشعر فيه المتراجع عن الخطأ بالذل ، كما

لا يشعر فيه الداعي إلى الحق بالغرور .

- النفسية المتصيدة : وهي التي يقوم صاحبها بتصيد الحروف والألفاظ دون الاهتمام بمقاصدها أو إحسان الظن بقائلها .. وهذه النفسية وليس لنا مثل السوء كنفسية الخنزير يمر بالطيبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمته . وهكذا صاحب النفسية المتصيدة ، يسمع منك ويرى المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ ، فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه ، فإذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونقله [2] .

ولا شك أن التحاور مع أصحاب هذه النفسية يحتاج إلى التذكير الدائم بأنه ليس أحد من أفراد العلماء إلا وله نادرة ينبغي أن تغمر في جنب فضله وتُجْتَنب [3] . مع التخلق بأدب الاعتراف بالخطأ إن وقع منا ، وعدم الدفاع عن الأخطاء أو تبريرها ، لأن ذلك هو السبيل إلى إقامة جسور التواصل مع أصحاب النفسية المتصيدة التي يجب أن يكون شعار الحوار معهم :

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

- النفسية الهروبية : وهي التي يسيطر على أصحابها فكرة أنهم لا يملكون فعل شيء في مواجهة المتآمرين عليهم ، فيدفعهم ذلك إلى الهروب من مواجهة تجاربهم الفاشلة ومحاولة معرفة الأخطاء التي تسببت في الفشل ، إلى تبرير هذه التجارب بما يبرئ ساحتهم ، ويضع المسؤولية على الآخرين الذين لا يكفون عن التآمر ضدهم !

ولا شك أن التحاور مع هؤلاء يحتاج إلى دوام التذكير بأن العوامل الداخلية في أي عمل هي التي تعطي العوامل الخارجية تأشيرة العمل والتأثير ، وأن علينا أن نتقن العمل بدلاً من أن نبرر الفشل ، ونمارس عبودية الأخذ بالأسباب ضمن ممارسة عبودية التوكل .. ونعلم علم اليقين أن أول خطوة في طريق ضرب تآمر الآخرين هي التحرك بفاعلية وإيجابية في حدود الاستطاعة مع الحذر الواجب وعدم اليأس .

وهكذا تحتاج كل نفسية إلى طريقة في الحوار تختلف قليلاً أوكثيراً عن الأخرى ، ومن هنا يصبح من الأهمية بمكان معرفة نفسيات الآخرين الذين نتحاور معهم .. فإذا جهلنا من نتحاور معهم لأي سبب ، فإن أسلوب جس النبض عبر أسئلة عن أمر عام ليس لها علاقة مباشرة بموضوع الحوار قد تكسبنا بعض الخبرة عن الآخرين ، وتعطينا فرصة التعرف على أفكارهم ونفسياتهم من خلال ميولهم وطريقتهم في الإجابة ، بل وحتى من خلال نبرات أصواتهم في الرد وإشارات أيديهم المصاحبة لها .

3- نقاط التحاور :

في غياب التحديد الدقيق لنقاط التحاور تتحول أكثر حواراتنا جدلاً عقيماً سائباً ليس له نقطة ينتهي إليها .. لذلك فإنه من أهم خطوات الإعداد الجيد للحوار معرفة نقاط التحاور ، والبدء بالأهم منها ، وترك غير المهم من فضول العلم والكلام وغيره من الأمور التي تفرق بنا سبلها عن أصل الموضوع وأساس القضايا ، فيتبعثر الجهد ويضيع الوقت ..

ولكي نحفظ جهدنا ووقتنا فإننا قبل كل حوار نقوم بإعداد نقاط التحاور إعداداً جيداً ، ونعمل في الوقت ذاته على تقليل المفاجآت الفكرية غير المتوقعة .. تلك المفاجآت التي يكون لها آثار سلبية عميقة في سير الحوار ، بدفعه إلى التشعبات والتفريعات التي تمزق معها الموضوع الأساس ويضيق وقت الحوار عن مناقشته .

ولا شك أن الإعداد الجيد لنقاط التحاور يستوجب أن تكون لدينا القدرة قبل الحوار أن نجيب على أسئلة من أمثال : هل هذه النقطة مهمة ؟ وما مدى أهميتها ؟

وهل يمكن التحوار حولها أو وتهميشها ؟ وما موقفنا إذا رفض الآخرون قبولها .. إلى غير ذلك من الأسئلة التي تمثل الإجابة عنها الطريق إلى الحوار المثمر ، ولا يصل الحوار في غيبتها إلا إلى الطريق المسدود .

(ب) الصمت الواعي :

إذا كان السماع الكامل للآخر من أهم ضوابط الحوار ، فإن الصمت الواعي هو وسيلة هذا السماع التي تحقق منه الفائدة القصوى ..

إن الصمت الواعي يستلزم قدرات خاصة لاستيعاب ما يقوله الطرف الآخر وتخزينه في الذاكرة بصورة منظمة لاسترجاعه في الوقت المناسب للحوار .. وهذا يعني أن نعرف أثناء صمتنا : حتى متى يجب أن نسمع ؟ ومتى يجب أن نتكلم ؟ وماذا نقول إذا تكلمنا ؟ .. فليس كل ما يعرف يقال ، وليس كل ما يقال يقال في كل وقت ، وليس كل ما يقال في كل وقت يقال لأي أحد .. بل كما يقول الشاطبي (رحمه الله) : ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة ، ومما يفيد علماً بالأحكام بل ذلك ينقسم : منه ما هو مطلوب النشر وهو غالب علم الشريعة ، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق ، أو لايطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص [4] .

وإذن : ففي بعض الأمور يكون الصمت هو الواجب ، وفي أمور أخرى يكون الكلام هو الواجب .. والصمت الواعي هو فن التوفيق بين واجب الصمت وواجب الكلام .. وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة ، فإن صحت في ميزانها ، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله ، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة ، فاعرضها في ذهنك على العقول ، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها ، إما على العموم إن كانت مما تقبله العقول ، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم ، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ ، فالسكوت عنها هو الجاري وفق المصلحة الشرعية والعقلية [4].

إن للصمت وظائف حوارية ضخمة حين يحسن استخدامه ، أما حين يُساء استخدام الصمت فيلتزمه المحاور دائماً وفي كل الأحوال ، فإنه يعطي الآخر إحساساً بعدم جديته ، بل قد يحسب الآخر أن هذا الصمت لون من ألوان عدم الترحيب وعدم التجاوب معه ! !

وإذن : فلابد من اكتساب القدرة على الصمت الواعي الذي يحقق الوسطية بين رد الفعل السريع الذي لا يُنْتِج إلا الخسائر الحوارية ، وبين رد الفعل المتأخر الذي يبدد الوقت والجهد دون فائدة .

(ج) التسلسل المنطقي :

في كل حوار ناجح يمثل التسلسل المنطقي المقدمة الأولى لهذا النجاح ، ومن هنا فإن من فقه المحاور الذكي أن يتسلسل فيما يقدمه للآخر تسلسلاً منطقياً يقدم فيه الأسباب والحيثيات التي تؤدي إلى نتائجها في غاية اليسر والهدوء .. ولا يعني ذلك أن يتسلحف المحاور بأفكاره أو يُبقي عليها في بيات شتوي متوقفة عن الحركة ، وإنما يعني أن يتلطف في تقديمها للآخر ، فإن كان ثمة أفكار غريبة على نفس الآخر وعقله فلا يفاجئه بها ، بل يقدم بين يديها مقدمات تؤنس بها وتدل عليها حتى لا تكون فتنة له ؛ كما قال عبد الله بن مسعود : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم ، إلا كان لبعضهم فتنة . وقال عروة بن الزبير : ما حدثت أحداً بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله ، إلا كان ضلالة عليه .

فليس الناس طرازاً واحداً ، والعقول تتفاوت ، والأفهام تتباين ، ولابد من مراعاة هذا التباين وذلك التفاوت .

وتأمل ذكره (عز وجل) قصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر التشبيه وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله في العادة ، فذكر قصته بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب ، فإن النفوس لما آنست بولد بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب [5] .

وقد راعى النبي -صلى الله عليه وسلم- أحوال الناس وأفهامهم ، فترك بعض الأمور التي لا يدركها فهم الناس أو فهم بعضهم ، فقال لعائشة (رضي الله عنها) : يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدهم قال ابن الزبير : بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل منه الناس ، وباب يخرجون [6] .

وإذن : فإنه لابد للمحاور من الاقتصار فيما يقول على قدر فهم الآخر ، فقد قيل بحق : كِلْ لكل عبد بمعيار عقله ، وزنْ له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار [7].

ولا شك أن مما يفيد في ذلك ، ويسهل الطريق أمام المحاور لإقناع محاوره ، أن يضع المحاور نفسه مكان محاوره ، ويحاول التفكير في القضية المعروضة للحوار بمثل عقلية محاوره ، والنظر فيها من نفس الزاوية التي ينظر منها .

فإذا فعل ذلك تحقق له بإذن الله الدخول إلى قلب محاوره بما يريد من أفكار ، وأدى حق العلم عليه ، كما قال كثير بن عروة : إن عليك في علمك حقاً ، كما عليك في مالك حقاً ، لا تحدث بالعلم غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك .

(د) التساؤل الهادف :

الأسئلة هي وسيلتنا لأهداف متعددة ، فهي وسيلتنا للتعرف على الآخر ومنزلته وعلمه ، كما في سؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- لوفد عبد القيس : من القوم ؟، وهي وسيلتنا للوصول إلى معلومة نافعة لترتيب أفكارنا أثناء الحوار ، كما وقع من ضمام بن ثعلبة حين سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- : من خلق السماء ؟ ومن خلق الأرض ؟ .. ثم استحلف بخالق هؤلاء على ما يريد التثبت منه .

والأسئلة هي وسيلتنا لتحويل موضوع الحوار إذا أردنا ، وهي وسيلتنا لتنشيط عملية التحاور ، أو اختبار صحة بعض المعلومات ، وإثارة تفكير الآخر .. إلى غيرها من الأهداف .

ولأن الأسئلة بهذا القدر من الأهمية في عملية التحاور ، فإنه من الضروري جداً أن نعرف كيف نصوغ الأسئلة ؟ ومتى نثيرها ؟ وما هي أولوياتها ؟ وما هو النوع المناسب منها لما نريده من الحوار ؟ ..

- أساليب التساؤل : للتساؤل أساليب متنوعة ، فمنها أسلوب الأسئلة المغلقة ، ومنها أسلوب الأسئلة المفتوحة ، ومنها أسلوب تتابع الأسئلة الذي يبدأ بالأسئلة المفتوحة ليصل إلى الأسئلة المغلقة تماماً .

- فأما الأسئلة المفتوحة : فهي الأسئلة التي تسمح للآخر بالإجابة عن السؤال من أي زاوية يريدها ، وبكم المعلومات التي يحب ذكرها ، مثل أن نقول : ما رأيك في كذا ؟ أو ما هي الوسائل التي تقترحها للإفادة من كذا ؟ .

ومزايا هذا النوع من الأسئلة أنه يجعل الآخر يتكلم ونحن ننصت فقط ، فنحصل منه على أكبر قدر من المعلومات ونتعرف على الطريقة التي يفكر بها .. كما أن لهذا النوع من الأسئلة ميزة كبيرة ، وهي أن الآخر لا يشعر معها بأي رهبة أو صراع [8] ، ومن ثم : فإن هذا النوع من الأسئلة هو المناسب لبدء الحوار وتحقيق الانسجام المبدئي بين طرفي الحوار .. والمحاور الجيد هو من يبدأ حواره مع الآخر بمجموعة من الأسئلة المفتوحة والمحايدة والتي توحي للآخر أن درجة

قناعته بطرفيها متساوية ، وبذلك يحقق هدفي التعرف على الآخر دون استنفاره ، وبالتالي : تحقيق الانسجام معه بصورة طيبة وتلقائية ..

- وأما الأسئلة المغلقة : وهي الأسئلة التي تقيد الآخر بوضع الإجابة في إطار محدد .. مثل أن نسأل : هل توافق هذا الأمر أو تخالفه ؟ .. ما دليلك على قولك ؟ .. من قال بذلك ؟ .. إلى غيرها من الأسئلة التي تميز بسيطرة السائل على الأسئلة والأجوبة معاً ، وبطريقة تمكنه من الوصول إلى هدفه من أقرب طريق .

وأما الأسئلة المتتابعة من الانفتاح إلى الانغلاق التام : فهي أسئلة متدرجة يحاول بها السائل الوصول إلى أهـداف تتفق مع ما يتبنى من الأفكار عبر الانغلاق المتدرج الذي لا يسمح للآخر بالتفصيل في المواضع التي لا يريد فيها السائل إلا الفكرة المجملة ! !

ولا شك أننا لابد أن نتدرب على عدم الخضوع لهذا الأسلوب في الأسئلة ، ونتعلم كيف نتدخل أحياناً لصياغة السؤال أو التعليق عليه بصورة أو بأخرى حتى يفهم الآخرين ما نقصد من الإجمال الذي نجيب به على الأسئلة المغلقة تماماً .

إنه من الضروري لنا في كل حواراتنا أن نسأل ونستوضح قبل أن نصدر حكماً أو نرفض رأياً ، ولا بأس بتنوع الأسئلة حسب الحاجة حتى يتضح لنا الأمر جلياً .. ذلك أن العلم سؤال وجواب ، ومن ثم قيل : حسن السؤال نصف العلم [9] . **(هـ)**

فن الممكن :

في بعض حواراتنا قد تختلط لدينا الأمنيات بالإمكانيات ، فندور في أحلام أمانينا بدلاً من التقدم إلى معطيات واقعنا ، وتضيع جهودنا الحوارية دون تحقيق الممكن .. ولكي نتخلص من هذا المرض الحواري الخطير ، لابد لنا أن نتعرف قبل كل حوار على عدة بدائل للحوار ، لنختار الممكن منها إذا فشلنا في تحقيقها جميعاً ، فإذا بدأ الحوار فليكن شعارنا : فن الممكن في حوار مستحيل .. لا نترك فرصة تحقيق هدف صغير ممكن جرياً وراء محاولة تحقيق حلم كبير مستحيل ! !

فإذا كنا نهدف من حوارنا إلى إقامة علاقات تعاون مع الآخرين ، ولم نقدر على تحقيق هذا الهدف لعلامات ظهرت في الآخرين من الانتصار للنفس ، وحب الغلبة والميل للمنازعة والمخاصمة .. فلنستثمر حوارنا في محاولة إيجاد علاقة طيبة أو التعرف على مدى استعدادهم لإقامة علاقات التعاون في المستقبل .

فإذا فشلنا في ذلك أيضاً ، ولم نقدر على اجتثاث جذور الخلاف بيننا وبينهم ، فلنحاول أن يكون هذا الخلاف في أضيق الحدود ، ولنضع بيننا وبينهم قاعدة : إن الخلاف في الآراء لا يصنع لقاء القلوب .

وهكذا نبقى حريصين على الإفادة من الحوار بقدر الممكن ، ولا نطمع فيما يستحيل .. فمن مشى من محاورينا معنا إلى نهاية الشوط فهو أخ لنا نسعد به ، ومن مشى قدراً يسيراً نقبل منه ذلك وندعو له بالجزاء الأوفى من الله .. بل كل من أعطانا أي قدر من التعاون فنحن لا نستغني عنه .. ومن استطعنا تعديل مساره إلى الأفضل فنحن لا نزهد فيه .

إن الناس تتفاوت أقدارهم وقدراتهم ، ولا يستطيع إنسان تحقيق الفائدة من جميعهم إلا أن يكون عمله في إطار فن الممكن .

---

(1) للدكتور حسن محمد وجيه كتاب بعنوان : (مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي) أوضح فيه أساليب الحوار بشكل جيد ، فراجعه إن شئت .
(2) ابن القيم : مدارج السالكين ، ج1 ، ص435 ، بتصرف يسير .
(3) الشاطبي : الموافقات ، ج 4 ، ص189 ، 190 .
(4) ابن القيم : إعلام الموقعين ، ج4 ، ص163 .

(5) بكر أبو زيد : تصنيف الناس بين الظن واليقين ، ص81 .
(6) أخرجه البخاري : كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، ومسلم : كتاب الحج باب ، جدر الكعبة وبابها ، والنسائي : كتاب المناسك ، باب بناء الكعبة .
(7) الغزالي : الإحياء ، ج1 ، ص71 .
(8) مستفاد من كتاب : مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي ، د حسن محمد وجيه .
(9) ابن حجر : فتح الباري ، ج1 ، ص142 .

نصوص شعرية

لب الصراع

صالح أحمد البوريني

ظَهرَ العَداء وصَرّح الإعلامُ   في الغرب أنّ عدوّه الإسلامُ
والغرب يَطوي بين أضلع صدره   حقداً تَشُبّ أوارَه الأيامُ
ما زال يحمل في النفوس ضغينة   يَسقي ترابَ غِراسها الإجرامُ
يَقْتاتُ من تاريخه أحقاده   فَتَشِبّ منه عداوة وخصامُ
يَرمي بنار عَدائه مَنْ أسلَموا   سِيّانِ فيه العُرْبُ والأعجامُ
ولقد أباح دماءَنا في بوسْنَة   أما دماءُ الصربِ فهي حرَامُ
حَظْرُ التسلح لعبة دوليّة   للغرب فيها الحَلّ والإبْرامُ
للصرب عُدوان على إخواننا   ضجّت له الغبراء والآكامُ
لا العِرْقُ سرّ للعداوة بينهم   كلا ولا الألوانُ والأجسامُ
سِرّ العَداء هو الديانةُ وحدَها   لُبّ الصراع الكفرُ والإسلامُ
والصرب يعلن سِلْمَه بشروطه   وشروطه الإذلال والإعدامُ
والغرب يعلن كل يوم خُطّةً   نحو السلام وليس ثَمّ سلامُ
يُبدون سعياً للسلام تسَتّرا   دعوى السلام تَظاهُرٌ وكلامُ
في كل جُرح نازف من أمتي   للغرب نصلٌ حاقدٌ ومرامُ
في كل جهد للتحرر نكسة   يَصْلى لهيبَ جراحها الأيتامُ
في كل سعي للخلاص مخاطر   ومزالق ومهالك وحطامُ
يا ويحَ أمةِ يعربٍ كما نالها   مِنْ شرّه الإيذاء والإيلامُ
في كل شَعبٍ فتنة من كيده   عَظُمت بها الآفات والآثامُ
في كل شأن من شؤون حياتنا   رأي له ودعاية وكلامُ
وتدَخّل ونصيحة مزعومة   ومشورة ضَلّت بها الأفهامُ
في كل دربٍ للتقدم عثرة   مِنْ صُنْعه وحجارة وركامُ
وبِرَغْم كل عدائه لشعوبنا   فَلَهُ حضور بيننا ومُقامُ
وبكل رابية له في أرضنا   دار ترفرف فوقها الأعلامُ

نواميس

د . محمد بن ظافر الشهري

في ربيع الحروفْ
يتفتق زهر القريض بعَرفِ الشبابْ
وعلى مر كل الفصولْ
وبرغم الكوارثِ
في موسم القحط .

ذاك المهدد بالإستلابْ
يرفض الحرفُ
أن يتقمص دور العجوزْ
أن يُلقّن ماذا يحلّ ..
وما لا يجوزْ ..
لا عجابْ ..
رُب حرف تعشّق درب الحياةِ
وعاف دروب الحتوفْ ! !

* * *

هل يطول انتظار صباح العربْ ؟ !
ربما ..
غير أني على ثِقَةٍ أنه يقتربْ ؟ !
من يكون ؟
وما لون عينيهِ ؟
هل يعتريه الأفولْ ؟
هو من تعرفون ..
وألوان عينيه مختلفٌ ..
هو يسلك درب الرسولْ
فحيّهلا بالتعبْ ! !

* * *

عجباً .. للجنينْ
دونما ضجةٍ
يتجرع عيش السجينْ
وإذا فارق الحبسَ ..
يبكي بكاء الحزينْ ! !
عجباً .. للرياحْ
تلزم الصمتَ ما ضعفت
فإذا عصفتْ ..
جهرت بالصياحْ ! !
لا عجابْ ..
أيما قصةٍ لسراج يبثّ الضياءْ
سبقتها ولا بدّ
قصةُ كيّ الفتيلْ ..
إنها سنة الأولين
ولا ريب في أنها
سنة الآخرين ..

قصة قصيرة

عبد الإله وحبات الرمل

علي محمد

لم يكن للمساءات نكهة حاذقة المرارة في حلق عبد الإله مثلما كان ذلك المساء، فقد اقتحمته المرارة من أذنيه وكل حواسه طوال النهار ، فانسكبت في قلبه ، ومن ثم : إلى كل جسمه ، حتى إنه عندما وضع طرف إصبعه في فمه كالعادة ليشعر بالمرارة أكثر ، وجد أن لسانه أشد مرارة من إصبعه .

التفت وراءه ليرى بقايا أضواء الشارع الأخير وهو يتجه إلى الصحراء لعله يبوح لها بآلامه ، وانتابه شعور بالمرارة طالما راوده وهو يتأمل ذلك الشارع الأصفر الذي يحيط بالمدينة من كل جانب .

إنه بالنسبة له ولأمثاله لا يعدو كونه قيداً من نار يقيد المدينة ومن بداخلها ، ويمنع في ذات الوقت خروج آهاتهم أو دخول الفرح إليهم ، فكان حاجزاً من النار يخنق أنفاس المدينة وأسرارها ، وتذكر وهو يلقي عليه النظرة الأخيرة أنه قرأ ذات مرة عن ذلك الشارع أنه الحزام الذهبي الذي يزين خصر المدينة النائمة على تلال الرمال الناعمة ، فتفجر في رأسه سؤال عاصف : لماذا يرونه كذلك وهو لا يراه ؟

حاول تناسي ذلك السؤال ، وأدار رأسه تجاه الصحراء ، واستنشق كمية كبيرة من هوائها الذي ظن أنه نقياً لعله يزيل ما بداخله من أتربة المدينة الممتزجة برائحة عرق المسحوقين وبعض الدم الذي يقطر من قلبه ، ولعله يقتلع في طريقه أشجار القهر التي نمت بداخله ، ليقذف بها على تلك الوجوه المتأنقة رغم بشاعتها الفاضحة.

واستنشق مرة أخرى ، لكن كل ذلك لم يحقق له ما كان يحلم به ، فتمتم بكلمات لم يفهمها هو نفسه .

وتساءل مرة أخرى : لماذا اختار الصحراء بالذات لتكون مستقر أسراره وراحة نفسه ؟ ، وسرعان ما تذكر كلام جاره سعيد ؛ بأنها مليئة بالأسرار ، وتَمثل أمام ناظريه في تلك اللحظة ظهر جاره المنحني انحناءته العجيبة التي حيرته ، فهي لم تكن بسبب كبر سنه ، وليست لمرضه ، وكثيراً ما يهرب جاره من الأسئلة حولها، لابد أن خلفها ما يخشى أن يتحدث عنه ذلك الرجل .

ابتسم عبد الإله في مرارة ، وقال محدثاً نفسه : لعلها من ذلك السور الناري الذي حبس أهل المدينة .

لكن عبد الإله لم يكن ليقتنع أن الصحراء لا تملك إلا الأسرار فقط ، بل وداخلها دُفِن الكثير من الأكاذيب التي خبّأها أصحابها واستعاروا ماضٍ يرون أنه يناسبهم .

آهٍ أيتها الصحراء ، كم أنت أمينة على أسرار الجميع ، وكم أنت مصغية لكل ثرثرات الموجوعين وأباطيل المخادعين .

واصل عبد الإله حديثه مع الصحراء وهو يتأمل وجهها الكبير الناصع البياض في هذه الليلة المقمرة .

كم أتمنى أيتها الرمال أن تكشفي لأهل المدينة زيف البطولات التي يدعيها المزيفون القادمون منك ، أولئك الذين يتلبسون بمظاهر المدينة ، ونسوا أن يزيلوا ملامح الصعاليك التي لم تزل تفترش وجوههم ، وعلى ظهورهم آثار نعل كبيرة لا تصنع في مدينتهم ، لأنها تحمل علامة غريبة عن الصحراء والمدينة التي تنام على أطرافها .

واصل عبد الإله رحلته إلى قلب الصحراء في ضوء القمر الساطع ، وأكوام الرمال تبدو كالجمال الرابضة ، وعلى قممها كانت تتراءى له تلك الرؤوس المقززة وكأنها مغروسة عليها ، ولم يدر لماذا بدأ يشعر كأنه إنما دخل إلى مقبرة ، وإذا بالهدوء الذي كان ينشده قبل قليل قد أصبح موحشاً مخيفاً ، وإذا به يحس أن هناك من يتعقبه ويقترب منه حتى كأنه يشعر بأطراف أصابع من خلفه تلامس كتفيه ، وإذا بحبات الرمل تُصَبّ على ظهره ، وخالجه شعور بهلع شديد .. هل تراهم

سمعوا حديثه للصحراء ؟ .. وبدأ يفتش في جسمه لعله يجد شيئاً ليس منه .

ازداد خوفه ، وكذلك سيره ، حتى إنه لم يعد يعرف مصدر تلك الأنفاس اللاهثة : هل هي أنفاسه أم أنفاس الذي يتعقبه من خلفه ، وكلما زادت سرعته كلما زادت كمية الرمل على ظهره ، ولم يعد يملك من الأعصاب ما يمنعه من الركض ، فأطلق ساقيه للريح وهو لا يرفع بصره عن الأرض ، ولا يستطيع في الوقت ذاته الالتفات إلى الخلف ، وبينما هو منطلق بأقصى ما يملك من قوة أحس بضربة قوية على رأسه ، فسقط على وجهه ، وأدرك أنه هلك لا محالة ، فانقلب على ظهره في محاولة بائسة لتفادي الضربة الثانية ، لكنها لم تصبه ، لأنه لم يكن هناك من يقوم بها ، وأغمض عينيه مستسلماً ، لكنه لم يعد يسمع وقع تلك الأقدام .. وبعد لحظات من الانتظار القاتل فتح عينيه بقوة حتى لا يتردد فلا يستطيع فتحها بعد ذلك ، فلم يجد أحداً ، ووضع يده على رأسه ليتلمس الدم الذي بدأ يسيل ، وتلفت يميناً وشمالاً فلم تقع عيناه على أحد ، فزاد خوفه ، هل يملكون هذه القدرة على ضربه دون أن يراهم ؟ ! وتذكر على الفور كلام جاره صاحب الانحناء ، فتفقد ظهره فوجده كما هو ، لم ينحن بعد ، فاستلقى على الأرض ، فإذا هو تحت شجرة كبيرة يتخلل أغصانها ضوء القمر ، وإذا بها قد أهملت أحد أغصانها اليابسة ، ونظر إلى رجليه فإذا بنعلي أخيه الأكبر صاحب الأرجل الطويلة فيهما ، ولفرحته لم يتمالك نفسه حيث انفجر ضاحكاً ودموعه تتساقط ، حيث اكتشف أن ذلك الصوت خلفه لم يكن سوى صوت النعلين الطويلتين اللتين كانتا تقذفانه بالرمل على ظهره ! ، وتلمس رأسه في ألم وهو ينظر مبتسماً إلى غصن الشجرة المتدلي ، الذي كان صاحب الضربة التي على رأسه .

ألقى نظرة على تلال الرمل ، فإذا بتلك الرؤوس لا تزال عليها ، إنها وجوه أولئك الصعاليك ، لابد أنهم هربوا من هذه الصحراء خوفاً من حبات الرمل ، وتركوا وجوههم الحقيقية هنا ، وتذكر مرة أخرى العلامات التي على ظهورهم ، وتلمس ظهره فلم يجد عليه تلك العلامة ، فحمد الله على ذلك ، ونظر إلى غصن الشجرة اليابس فدنا منه وخاطبه قائلاً : ياالجهل الناس عندما يظنون أن غصن الشجرة عندما ييبس أنه مات ، وهو في الواقع إنما وصل إلى مرحلة النضج ، فيكون أكثر فائدة من الأغصان اللينة .

استنشق من هواء الصحراء ، فإذا به يشعر بحيوية ونشاط ورغبة عارمة في العودة إلى المدينة ، فانطلق مسرعاً والرمل يتساقط على رأسه وكتفيه ، لكنه لم يكن خائفاً ؛ فهو عرف بعض الأسرار ، وعندما غاب القمر لم يكن عبد الإله قد وصل إلى المدينة ، فلم يفقده أحد من أهلها ، وعندما أطل الليل مرة أخرى بوجهه الأسود القاتم ابتسم الشارع الأصفر ابتسامة صفراء ، والصحراء لم تزل تحفظ الكثير من الأسرار .. ومنها سر عبد الإله الذي لم يصل بعد ...

مراجعات نقدية

هذه (الخطيئة) .. فمتى (التفكير) ؟ !

عبد الوهاب الزميلي

في غشاء النبال التي أحاطت بصدر الأمة تندس سهام راشها العدو الكاشح وغرزها (عربي الوجه واللسان) ، وانفرجت لها منافذ إلى عقل الأمة ووجدانها ، تفضي إلى (مقتل) .. وكان من تلك المنافذ مدرج طاوعها ولان .. فعكفت عليه تدقيقاً وتذويباً حتى ارتخى .. فانزلقت منه إلى الغور .. ! إنه منفذ الكلمة

الشاعرة .. التنغيم الآسر .. والقوافل إن لم يغرد حداتها فربما استاقها تنغيم (ناعم) أو ترديد (ناهق) ، ثم ترى تلك السهام وقد أسدل عليها سدنتها ما حسبوه ستراً لا ترى العينُ ما وراءه ! ! من مسخ للعقل والقلب ، وهدم للدين والفطرة ، ومن تأمّله ولو قليلاً .. رآه منهتك الأستار .

وربما تترس أولئك برفع (قبعة) العلم ، ودعوى إثراء العقل المسلم بجلب ما يسوّقه الآخر من مناهج أدبية وافدة تحوط نتاج مريديها بسور شائك ، ثم تفلسف ذلك النتاج ليملأ أحداق المغفلين ، وينزوي بهم ليستدبروا أمتهم .

ولعلها من (أدق) المعاول و (أشدها) :

فهي دقيقة لأنها تنسرب إلى حياة الأمة بخفية وخطو بطيء حتى تخالط فكرها وحسها .. هابطةً بهما إلى المادة أو إلى العبث والحيرة ! .. مارّة بمسلمات الأمة لتلقيها للريح ، وهي شديدة شدة البلاء العام والنوايا الكالحة والخداع المخَمّر العفن .

نعم .. لا ضير من تلقي الخير من (شيطان زكاة أبي هريرة !) ، إنما يتوقف تمثل ذلك المتلقى على (صَدَقَك) .. ولا نبالي به وإن كان كذوباً .

والمسلم بفطرته ومنهجه لا يأبى التوقد العلمي فحينما يجيل بصره في الثقافات من حوله : فقد يلمح بين الركام قبساً يلتهب ، فيعرضه على فطرته ومنهجه فيتقي (نقاط) الإحراق .. ويتلقط (نقاط) الضوء فيطويها تحت جناحه ، وذلك الجهد الفاحص المميز لا بد أن يكون مشتبكاً مع كل العطاء البشري لأن منهج المسلم يتناول جوانب الحياة كلها ، فلا يكون مقبولاً فيها إلا ما أمدّه ذلك المنهج بالقبول .

ولكن يأخذ العجبُ مداه .. ! حين نرى بعض المناهج الوافدة تلمّع وتزركش ، ثم تمرر لتكون ميزان الكلمة .. دون أن توزن هي ! ! ، ثم تسعى إلى التمدد (الناعم) في تلافيف حياتنا ، وتجهد لتخط على رمال الجزيرة حرفها .. ولتجعل تلك الرمال ملحاً تذيبه غضبة موج .. ! فإذا لم تفعلوا ولن تفعلوا .. والله متم نوره .

ومنها : (المنهج التشريحي) الذي يقوم على الألسنية كأساس نقدي له ، [الخطيئة والتكفير ، ص29] .

وقد حرث له أهله في بعض أرضنا ، فأخرج شوكه (النكد) ، فكانت وخزاً يستنزف الدماء ، ولكن .. قطرة .. قطرة .. ، وكان من نتاجه كتاب (الخطيئة والتكفير) للدكتور عبد الله الغذامي ، وقد أتبعه بعدة كتب صغيرة كلها تحوم حول ما كتبه في كتابه هذا ، وقد أخذ الغذامي بالمنهج التشريحي ؛ حيث يراه أفضل ما قدمه العصر من إنجاز أدبي نقدي [الخطيئة ، ص83] ، وعرّف التشريح بأنه : تفكيك النص من أجل إعادة بنائه [الخطيئة ، ص50] .

وسنجري الحديث موجزاً عن بعض ما طرحه في بعض كتبه وبخاصة كتابه (الخطيئة) وذلك لنلمس ما ظهر ناتئاً .. بل وحاداً في بعض الأحيان ، وسنعرضه عبر ثلاثة عشر سؤالاً (كاشفاً) ، وكل سؤال منها فجوابه (نص) من أحد كتب الرجل ، يدل دلالة (محددة) على موضوع السؤال بالذات ، وذلك لنصل إلى جواب السؤال الأهم : ماذا يريد هؤلاء ؟ آلبناء أم الهدم ؟ .

وقبل الولوج من مدخل الأسئلة أمهد الطريق إليها بثمان (نقاط) :

الأولى : (موت المؤلف) : الذي يلح عليه الغذامي في مواضع متعددة من كتبه .. وهو في هذا يتحسس مقتفياً خطى الفيلسوف الفرنسي رولان بارت حذو القذة بالقذة .. ومن كَلَف الغذامي بهذه القضية أن أفرد لها عدة مقالات .. وبذلك العنوان نفسه : (موت المؤلف) [انظر كتابه (ثقافة الأسئلة) وكتابه (الموقف من الحداثة)] . فلم هذا اللهاث خلف هذه القضية ؟ ! ، ولم هذا الحرص (الحار) على غرسها في الأذهان ؟ ! .. قد (ينجلي الغبار) إذا علمنا أن بارت وهو صاحب تلك المقولة أصالة .. وهؤلاء خلفه يسيرون يعلن صراحة أن مقولة (موت المؤلف)

تعني : (موت الإله) ! ! ، و الغذامي حين عرض لمقولة بارت التي أعلن فيها موت المؤلف .. يذكر أن بارت أكد فيها على أن الكتابة هي في واقعها نقض لكل صوت كما أنها نقض لكل نقطة بداية (أصل) [الخطيئة ، ص71] .

ونجد الغذامي يفرح بهذا النقض والهدم ويطرب له ، بل يراه فروسية متميزة من إمامه بارت ؛ حيث يقفز جواد فارسنا قفزات واسعة المدى لتحرير النص مثلما حرر الكلمة [الخطيئة ، ص71] .

بل ويرى أن بارت حسم الصراع حين قتل منافسه (؟) وبذا يحسم بارت الصراع بين العاشقين المتنافسين على محبوب واحد ، فيقتل رولان بارت منافسه ليستأثر هو بحب معشوقه (النص) [الخطيئة ، ص71] .

وفي كتابه (الموقف من الحداثة) في مقالة بعنوان (موت المؤلف) يذكر أن : علاقة المؤلف بالنص تشبه علاقة الأم بجنينها ، فحين يصبح إنساناً حياً مستقلاً لا يجوز أن نجعلها هوية له ، بل ذكرها يرد بسبب ابنها ، أي : إنها صارت عالة عليه ، وهذه حالة النص مع كاتبه ، فالنص بعد إنشائه يستقل بوجود خاص . أ . هـ . [ص84 ، 85] .

والنص عند الغذامي : وجود لغوي يقوم على وظيفة جمالية إحتكارها لغوي ، أي : ليس باجتماعي أو نفسي أو تاريخي ، وهذه كلها تعزل بعيداً عن النص وإن وجدت فيه [الموقف من الحداثة ، ص84] . وذلك النص أعلى نماذجه عنده هو القرآن الكريم ؛ [الموقف من الحداثة ، ص85] ، فهل يريد سحب مقولة (موت المؤلف) على (نصوص) القرآن ليتحقق ذلك النقض الموعود ؟ ! ! .

وعندما تعرّض لقراءة بارت التشريحية لقصة (ساراسين) لبلزاك ، وأن صفحات القصة في حدود عشرين صفحة ، ومع ذلك كتب عنها بارت كتاباً يزيد على مئتي صفحة ، مما جعل بعض النقاد يعجبون والبعض الآخر يهزؤون ، قال : ولكن القارئ العربي لا يجد ذلك عجيباً ولا غريباً ، ويكفي أن نتذكر كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم [الخطيئة ، ص67] ، وهو في هذا يغافل القارئ ليسقط في ذهنه أن ابن القيم حين يتحدث عن قوله (تعالى) : إياك نعبد وإياك نستعين في ثلاثة مجلدات ، أن ذلك مسوغ لقبول ما نفث في عقده هو ! ! ، ثم في مقولته تلك لَمْسٌ ولكن (بخفة) لإمكانية الربط بين قراءة بارت ل (ساراسين) ، وقراءة ابن القيم لـ إياك نعبد وإياك نستعين .

الثانية : التحول عنده يتسع ليشمل كل حركة يصنعها الإنسان أو يقع في وجهها (؟) فالتحول النفسي والتحول الثقافي والتحول العلمي كلها نتاج سعيد للإنسان [الخطيئة ، ص221] . فالتحول عنده شامل وفيه الحياة والسعادة .

أما الثبات : فهو تنازل عن الحياة ، وبانتصار قيود الثبات تحدث الطامة [الخطيئة ، ص226 ، 227] .

هذا موقفه من الثبات والتحول أو إن شئت فقل : من (الثابت والمتحول) .

الثالثة : ليس هناك غاية ثابتة (في نظره) ، بل يمكن للإنسان أن يحدد أي غاية يسوقه إليها هواه .. ثم ما عليه إلا أن يسعى إليها ليصل إلى السعادة ؛ يقول : وما على الإنسان إلا أن يقرر في خياله أي طوبى (؟ !) تهفو إليها نفسه ، ثم يأخذ بالسعي نحوها ، وستتحقق له السعادة في دأبه إليها [الخطيئة ، ص230] .

وبهذا انتهيت من النقطة الثالثة ، وما بقي من النقاط الثمان فسأسرده سرداً ، وسيرد ما يدل عليه من كلامه في أجوبة الأسئلة :

الرابعة : لا يرى للنص معنى ثابتاً .

الخامسة : يرى أن تفسير (النص) يعتمد على الذائقة الشخصية .

السادسة : لا يرى أن هناك من يمكنه أن يحكم على معنى (نص) من

النصوص بالصحة أو عدمها .

السابعة : المنشيء في (نظره) لا يتحمل تبعة ما كتب ، ولا يقال عما كتبه : هذا حلال وهذا حرام ! ! .

الثامنة **:** ليس للمنشيء في (نظره) أن يحدد معنى ما كتبه .

ذاك بعض ما قرره الغذامي في كتبه .. إلا إذا كان يعد كلامه كله إشارات حرة لا تقيد بمعنى ، وأنه (هو الآخر) إشارة حرة لا ينبغي الاعتداء عليها بالتقييد .. (المعنوي) .. ! ، فمعناها لا يصح تحديده ! .

هل يرى ذلك ؟ .. ربما .. ! ، ويكون ذلك من تمام التأسي بإمامه بارت الذي وصفه بأنه : جعل ذاته إشارة حرة فخلاها دالاً عائماً لا يحد بمدلول [الخطيئة ، ص 64] .

و الغذامي قد شغفه ذلك البارت حباً .. ولعل هذا الحب هو الذي دفعه لينزلق إليه في جحر الضب (والصب بالمهملة ! ! تفضحه عيونه) ، وقد خصه بمبحث في كتابه (الخطيئة) عنوانه : (فارس النص) ، ختمه بصفحة يعتذر فيها عن (التقصير .. !) ، ومما قاله في مبحثه عن إمامه : وما زالت الكلمة تعاني من القيد (؟) حتى جاء فارسها وحررها من قيدها[الخطيئة ، ص71] .

عود على بدء للأسئلة الثلاثة عشر :

س1 : كيف أصبحت الكلمة بعد هذا التحرير ؟

يقول : حرة مطلقة من كل ما يقيدها ، فهي لا تعني شيئاً (؟) ، وهي إشارة حرة ، ولذا : فهي قادرة على أن تعني كل شيء [الخطيئة ، ص70] .

س2 : ولكن .. ألا يمكن أن تكون دالة على معنى بيّن ؟

يقول : لا مكان للظن بأن النص الأدبي يحمل معنى محدداً أو أنه ذو معنى على الإطلاق [الخطيئة ، ص142] .

س3 : ألا ترى أنه قد يؤدي هذا إلى العبثية في تفسير النصوص ؟

يقول : سيظل النص يقبل تفسيرات مختلفة ومتعددة بعدد مرات قراءته [الخطيئة ، ص83] .

ماذا ؟ !

يقول : فالبيت الشعري يحمل لألف قارئ من قرائه ألف معنى ، أي : إنه بيت بلا معنى محدد (؟) ، والقارئ هو الذي يفسره حسب ما تمليه عليه نفسه (! !) [الخطيئة ، ص269] .

س4 : دكتور عبد الله .. ! هل يحق لكاتب النص أن يحدد معنى النص الذي كتبه ؟

يقول : ليس للكاتب أي حق على النص ، لأن الكاتب إذا فرغ من كتابة نصه يتحول إلى قارئ لما كتب .. وبذا : يدخل الكاتب نفسه كواحد من جمهور النص يتلقاه مثل سواه من الناس ، ومعانيه عنده لابد تختلف (؟) عن معاني الآخرين [الخطيئة ، ص95] .

س5 : ولكن .. إذا كان كاتب النص لا يستطيع أن يحدد معناه ولا القارئ كذلك في (نظركم) يا دكتور عبد الله .. فهل من سبيل إلى الوصول إلى المعنى الصحيح ؟

يقول : مادام أنه لا وجود للمعنى الثابت أو الجوهري ، فإنه لن يكون هناك مجال لحكم أو لحاكم على الصحة من عدمها [الخطيئة ، ص8081] .

(عجيب ! !) ..

س6 : ولكن لماذا تخشى تحكيم المعنى ؟

يقول : لو حكمنا المعنى فعندئذ نوقع المنشيء في إشكالات عديدة ، قد نقول بأنه قال ما لا يجوز له أن يقوله [الموقف من الحداثة ، ص76] .
(هو هذا .. ! !)
س7 : نعم قد يفعل ذلك .. فلو قلت شعراً (مثلاً) فيه سخرية بالدين و برب العالمين ، فعند ذلك تستتاب ، فإن لم تتب أقيم عليك حد الردة .. ، فماذا ترى ؟
يقول : .. إن الشاعر لا يقع عليه الحد فيما قال في شعره [ثقافة الأسئلة ، ص 62] .
(لا إله إلا الله ..)
س8 : قد ورد عن الشعراء قوله (تعالى) : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله .. ﴾ .. فمن هم هؤلاء الغاوون ، الذين في كل وادٍ يهيمون ؟ .. من هم في (نظركم) ؟
يقول : هم شعراء النص الجميل فحسب [ثقافة ، الأسئلة ص40] .
س9 : مثل من ؟
يقول : كعب بن زهير (..) [الموقف من الحداثة ، ص67] .
س10 : فمن شاعر الفئة المستثناه (إلا الذين آمنوا ..) ؟
يقول : الشاعر الذي يعيد للكلمة قداستها من خلال إعادة الفعل إليها [ثقافة الأسئلة ، ص40] .
س11 : مثل من ؟
يقول : محمود درويش (..) [ثقافة الأسئلة ، ص40] .
س12 : دكتور عبد الله .. ما هو منهج المسلمين .. ؟ عفواً ! !
أعني : هل تعلم لهم منهجاً ؟
يقول : نمرّ بفترة تاريخية ضائعة الهوية الفكرية ، وليس لعرب اليوم (فلسفة) تميز ثقافتهم وتطلقها (بادئة) (؟) وتوجهها (غاية) (؟) [الموقف من الحداثة ، ص 153] .
س13 : أخيراً .. نعلم أنك (تشريحي) المنهج ، فكيف تفعل وأنت ترتدي (ثوب الإسلام) حين تطبق منهجك على قصيدة لحمزة شحاته مثلاً ؟
يقول : حينما أقرأ قصيدة شحاته لست عبد الله الغذامي الرجل العادي ، ولكنني عبد الله آخر انسلخ من نفسه مثلما تنسلخ الحية من جلدها .. [الخطيئة ، ص 262] .
عياذاً بالله .. ! !

وأختم تلك الأسئلة بما بدأتكم به :

فماذا يريد هؤلاء ؟

كَشيشُ أفعى أجمعتْ لعض   فهي تحكّ بعضها ببعض

وبعد الختام أقول لكم :

قد يكون الحديث دافئاً وعذباً لو كان عن (مجنون ليلى) ، أو (مجنون لبنى) ، أو (مجنون عزة) .. بل ويكون واثباً حينما يكون عن (مجنون التراب) ..
فكيف يكون حينما يصبح عن (مجنون رولان بارت) ؟ !

نصوص شعرية

أبحث عن ذاتي

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

محمد العتيق

أتملى في شعري حيناً — أراني خلف الكلماتْ
أبحث عن ذاتي فكأني — أبحث في أشتات رفاتْ
فيناديني الكلم عذولا — من خلف حدود الأصوات
يا راصدَ نجمٍ لا يطلع — طال مُقامك في الأمواتْ
فإلام تركّضُ أشعارك — في ميدان هوى قد فاتْ
وإلامَ تسافر في الماضي — تبحث في ذاتك عن ذات
دع عنك نياحك كالثكلى — وتلمسْ درب الساداتْ
أسرج خيل مديحك فيهم — قبّل هاتيك العتباتْ
واستنشق عبق مواطئهم — وتسقّط منها البركاتْ
ويناديني الكلم : تأملْ — هذا سعدك خذه وهاتْ
هات بقايا حُلُمٍ غالك — وارهن شعرك كي تقتاتْ
دعْ عذلك عني يا كلمي — هيهات أطيعك هيهاتْ
ما كنتُ لأحيا مملوكاً — وأراني مِنْ عَبَدِ اللاتْ
أنا أعبدُ ربي في شعري — أفأمنحه عَبْدَ الذاتْ ؟ ؟

المسلمون والعالم

بدعة جديدة
تفسير التاريخ أصولياً !

د . عبد الله عمر سلطان

العلاقة بين الغرب والإسلام تطرح نفسها هذه الأيام في صيغ تساؤلية متنوعة، وتكاد تكون هي أكثر المواضيع إلحاحاً وأبرز علامات الاستفهام انتشاراً ، بل وبحثاً عن الإجابة والشرح .

لم يعد الحديث عن الإسلام وعلاقته بالغرب اليوم موضوع بحث أكاديمي أو دراسة استشراقية ، لأن تتابع الأحداث وتشابكها يفرضان الدخول إلى الموضوع عبر أكثر من بوابة وفوق جسور متعددة تصوغ واقع الحياة المعاصرة ، وإن صح ما قاله مراقب فرنسي اليوم من أن : أكثر من 80% من الأخبار التي تتعلق بالغرب والعالم الثالث تصب في خانة الإسلام وعلاقته بالدول الصناعية ، فإن الحديث عن الإسلام كبؤرة اهتمام وملاحقة لا تحتاج إلى مزيد من البرهنة أو حشد الأدلة .

تهتم الدوائر الدولية والأمريكية خصوصاً بالحديث عن باكستان في هذه المرحلة المهمة التي تتناول العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي ، وهذا الاهتمام قديم ومعروف ، وقد بلغ ذروته إبان الحرب الأفغانية حينما ظهر واضحاً الشق الإقليمي لهذه الدولة في الصراع الدولي ، كما أن شعور الغرب القديم بأن باكستان دولة إسلامية أصلاً ؛ جعلها دوماً موضوعة تحت المجهر السياسي ، لا سيما في أوقات توجه الحكومة الباكستانية إلى إلغاء الفجوة بين شعار الإسلام وواقع الشارع الباكستاني والقوانين والتشريعات المنظمة له .

وخلال السنتين الأخيرتين انكب بعض المراقبين والمحللين على دراسة ظاهرة انتشار المد الإسلامي في باكستان ، ومحاولة فهمه انطلاقاً من المقولة الشهيرة : إن قوة الإسلام تكمن في بساطته وتعدد نشاطاته ومظاهره بين فئات المجتمع ، ويمكن أن يقال : إن أبرز نقاط قوة الظاهرة الإسلامية في باكستان ترجع

في نظر المراقبين الغربيين إلى عوامل مهمة ، منها :

*تدين الشعب الباكستاني الفطري ، وترسخ دور العلماء والمثقفين الإسلاميين البارز في رسم التوجهات ، وامتداد الشعور الإسلامي إلى المؤسسات المهمة من خلال أفراد ، لا سيما في الجيش الباكستاني ، حيث ثبت لقادته أن باكستان تعامل من كونها دولة مسلمة ، وتحارب أو توظف من هذا المنطلق .

*التجربة التاريخية التي أثبتت أن باكستان مستهدفة لإسلامها ؛ وذلك من خلال : حروبها مع الهند ، أو القضية الكشميرية التي ظُلِمت فيها باكستان بصورة مجحفة ، أو من خلال حرب أفغانستان ... وأخيراً : موضوع القنبلة النووية التي حرمت البلاد من المساعدات الخارجية بسببها ، بالرغم من مباركة الدول الغربية لامتلاك الهند القنبلة النووية .

*التصريحات المتتالية لقادة الغرب المنادية بحرب الإسلام دون هوادة ، ابتداءً من طرح هنتجون الأكاديمي ، ووصولاً إلى ترجمته السياسية الواقعية على لسان ويلي كلاس أمين عام حلف الأطلسي ، أو نيوت جنجرتش زعيم الكونجرس الأمريكي .. عبارات من طراز : إن الأصولية الإسلامية لا يمكن وصفها إلا أنها أخطر من الشيوعية كما ورد على لسان كلاس ، أو : إن على أمريكا رسم سياسة واستراتيجية شاملة لمواجهة الخطر الإسلامي كما صرح جنجرتش ، هي التي تغذي الكره للغرب وأدواته المحلية من رموز وأحزاب ، وتشعر الباكستانيين أن ما يوحد العالم ضدهم هو الإسلام .

*ضعف المؤسسات والشخصيات العلمانية ، وارتباطها بطبقة من السياسيين الفاسدين ، واستجداء هذه الفئة من المعادين للمشروع الإسلامي لرجل الشارع من خلال تقديم صورة (إسلامية) مقبولة ، كما في نموذج بنازير بوتو التي اضطرت إلى وضع (نصف حجاب) بدلاً من السفور التي كانت معروفة به ، أو توقفها عن مصافحة الرجال علناً ! ، أو مشاركتها في مناسبات دينية ، أو إصدارها تصريحات قوية لمساندة قضايا إسلامية في البوسنة وكشمير ، أو إخفائها لانتمائها الرافضي أمام الجمهور السني العريض .

وإذا كان هذا وضع بنازير بوتو التي تعتبر ألمع الرموز العلمانية في باكستان، والمستندة على رصيد عائلي ودعم شعبي عريض نسبياً ، فإن واقع الرموز العلمانية الأخرى أضعف كثيراً ، بل تعرض إلى مزيد من التراجع خلال العقد الأخير .

*انكشاف واقع السياسيين الباكستانيين المغرق في الفساد والمحسوبية واستغلال النفوذ سواءً أكان ذلك متمثلاً في حزب الشعب الحاكم برئاسة بوتو ، أو المعارضة برئاسة نواز شريف ، وتلاحظ (الإيكونومست) أن الباكستانيين مجمعون على أن طبقة السياسيين هم من محترفي الفساد ورعاية المصالح الخاصة ، وأن الأحزاب الكبيرة هي عبارة عن عوائل إقطاعية تملك المال وتستثمره في الحياة السياسية لجلب مزيد من المكاسب ، ولذا : فهم مستعدون لانتهاك مصالح البلاد في سبيل مصالحهم الشخصية ! ، وفي هذا السياق تتخذ الديموقراطية وسيلة لحفظ نفوذهم ، من هنا : يبرز الإسلام ورموزه كخلاص للملايين من الشباب والمثقفين ورجال الأعمال ، حيث تبرز من خلاله أخلاقيات ومُثُل يفتقدها أولئك الذين يتاجرون به فقط ، ولا يتبنونه ديناً شاملاً ..

*تخلي الغرب وأمريكا خصوصاً عن باكستان بعد انتهاء الحرب الباردة واندحار السوفييت في أفغانستان ، وهناك شعور بين جميع الباكستانيين على مختلف مشاربهم يدين هذا السلوك الانتهازي ، الذي يوصف بالنفاق وحب الذات ويحرق أوراق كل من يعتقد أن خلاص باكستان يكمن في علاقات متميزة مع (واشنطن) ،

وهو الشعار الذي ترفعه بوتو هذه الأيام بالتحديد .

أحداث كراتشي .. والقطيعة مع الذات :

على الرغم من أن أحداث (كراتشي) لم تنقطع منذ عام 1992م ، إلا أن الصحافة الغربية أبدت اهتماماً متزايداً منذ أن قتل دبلوماسيين أمريكيين يعملان في القنصلية الأمريكية في (كراتشي) ، وعلى الرغم من أن حصيلة العنف جاوزت (1200) شخص خلال عام 1992م ، إلا أن تعامل حكومة بنازير بوتو معها كان يمثل قطيعة كاملة مع المعنيين بالقضية ، والتوجه مباشرة إلى واشنطن لتعزيز مواقعها في الداخل عبر الدعم الخارجي .

فأحداث كراتشي تصلح نموذجاً لعرض الكيفية التي قررت بعض الحكومات أن تتخذه لتضخيم المخاوف من الخطر الأصولي (حتى لو لم يكن هناك علاقة) الذي يستهدف الغرب وفريقه المرتبط به محلياً .

المشكلة كما يقول دايفيد أولبرين أن (حزب المهاجرين) الذي يمثل 80% من سكان المدينة لا يشعر إلا بالملاحقة والمطاردة ومحاولة فرض سيطرة حزب بوتو على أكبر مدينة باكستانية ، و (حزب المهاجرين) لا يمكن وصفه بأنه حزب أصولي ألبتة ، فهو يمثل المهاجرين إلى باكستان من الهند وقت التقسيم ، وبحكم كون (كراتشي) عاصمة ولاية السند التي كانت دوماً معقل عائلة بوتو ، فإن بنازير ظلت غير مكترثة بكراتشي وسكانها خصوصاً أن حزبها لم يكن يحظى بثقل انتخابي في المدينة .. إنها مشكلة سياسية محلية ... بل مغرقة في محليتها وأطرافها ... فماذا فعلت بوتو لحلها ؟ .. تقول مراسلة مجلة (الإيكونومست) : إن بوتو ظلت تنظر إلى (كراتشي) نظرة الانتقام ، وحينما كان يسقط عشرة قتلى في الأسبوع كانت تردد : إن سقوط عدة قتلى في اليوم أمر طبيعي ، بل يجب أن ينظر إليه ببرود في مدينة بحجم (كراتشي) .. ! ! .

سقوط عشرة قتلى في الأسبوع معناه أكثر من (500) قتيل في العام هو أمر طبيعي جداً ! ! ، لكن سقوط قتيلين أمريكيين قلب المعادلة .

اهتمت بوتو بالأمر أيما اهتمام ، وبدأت تتحدث عن الفوضى العارمة التي تجتاح المدينة ، ولأن (الدم أمريكاني) فلابد هنا من بهارات ونكهات أصولية حتى تكتمل الطبخة .. لقد اكتشفت بوتو أن (الأصولية) هي السبب ، وأن أصابعها هي التي تقف وراء أعمال العنف والشغب القبلية والقديمة ، لذا : ناشدت أمريكا قائلة : إنني مستهدفة وإياكم من الأصوليين ، علينا أن نضع أيدينا بأيدي بعضنا البعض لمحاربة هذا الخطر .. أنا بحاجة إلى مساعدتكم .

لكن الرد أتى سريعاً من أحد النواب الأمريكيين الذي علق قائلاً : ما دخل أمريكا في لعبة (حزب الشعب) و (المهاجرين) ؟ ! صحيح أننا نحارب الأصولية ، لكننا لسنا أغبياء إلى درجة الاستغلال الممقوت أو تجيير حوادث مروعة لمصالح أشخاص بعينهم ، إن هذا الموقف لا يساند مواقف بوتو كما يقول مراقب بريطاني : إن بوتو خلال زيارتها إلى أمريكا سمعت كلاماً معناه : أن كلينتون وإدارته لا يمكنهم الاعتماد على حكومة ضعيفة لا تستطيع حفظ الأمن في شوارع أكبر مدينة فيها ...

وهكذا لم تؤت الزيارة التاسعة والعشرون لبوتو ثمارها .. ، لقد سأل مراسل (النيوزويك) بوتو عن سبب تجاوزها للرقم القياسي في عدد الزيارات الخارجية ، حيث قامت بثمان وعشرين زيارة رسمية خلال أقل من (18) شهراً ، فردت بوتو : إنني أسوّق باكستان للعالمية .. ، نعم تسوّق ، أي : تعرضها للبيع ، وتعرض دورها كسمسار أو دلال متكأة على الخطر الأصولي ، وتزايد عليه وتخلطه بكل حادث أو فاجعة ، بحيث يصبح التفسير الأصولي للأحداث نظرية جديدة تنافس نظرية

التفسير المادي للتاريخ لماركس ، أو الجنسي لفرويد ، بالرغم من أن الفشل والانهيار هو مصير كل تفسير متعسف وظالم ومحارب لأبسط أبجديات المنطق ، فضلاً عن مصادمته لشرع الله .

في اليوم نفسه الذي كانت تفسر بوتو لأباطرة البيت الأبيض نظريتها ، كانت هناك تصريحات مشابهة تتحدث على لسان دكتاتور صغير أو كبير عن أهمية الحرية والاستقرار وبشاعة الأصولية والتطرف ، وتسوّق واقع شعوبها التعس من خلال الأسلوب نفسه والمخطط ذاته : نحن نحميكم من التطرف ، إذن : نحن وإياكم في الخندق معاً .

فَهِمْنا إذن لماذا تكثر هذه الأيام الزيارات التسويقية إلى ضفتي الأطلنطي ، وعرفناً مصطلحاً جديداً في السياسة الدولية اسمه : تسويق الخوف من الإسلام ورهن الشعوب والبلاد في مزاد صاخب مجنون ، يرتجف من سماع الإسلام باعتباره ديناً ومنهج حياة .

بنازير ليست الوحيدة التي تتاجر بهذه البضاعة الفاسدة .. لحظة تأمل قصيرة أو التفاتة هنا أو هناك ، تكشف أن المنافسة في هذه السوق مشتعلة في هذه الأيام !

المسلمون والعالم

الصومال
بين أسياد الحرب وأسياد الفقر
-2-

محمد عثمان

رسم الكاتب في الجزء الأول من المقال صورة للوضع الحالي الذي يعيشه الصومال ، ورصد واقع الفصائل الصومالية المختلفة ، ثم حلل مواقف الدول العربية والغربية ودول الجوار ، مبيناً مدى تأثير تلك المواقف على تفاعلات الوضع، ثم نوه بملامح حل إسلامي للموقف ، وها هو يواصل معالجته للموضوع ببيان موقف (أسياد الفقر) .

- البيان -

كان من نتائج الحرب الأهلية في الصومال نزوح أكثر من مليون صومالي إلى الدول الغربية النصرانية وإلى الدول النصرانية المجاورة وبخاصة كينيا والحبشة ، وكان في انتظارهم في هذه المخيمات أسياد الفقر (هيئات التنصير) ليجدوا مزيداً من المعاناة والإذلال .

بدأت حركة التنصير في القرن الإفريقي في العصور المتوسطة ، عندما قررت الكنيسة الحبشية إجبار المسلمين على التخلي عن دينهم ، فقاومهم المجاهد أحمد بن إبراهيم الملقب بالأيسر ، وهزم جيوش النصارى وأقام حكومة إسلامية في مدينة (هرر) إلى أن استنجدت الحبشة بالبرتغال ، ووصول الأسطول البرتغالي إلى شواطئ إفريقيا الشرقية ، ومن العجائب : أن الأسطول العماني هزم الأسطول الصليبي القوي وأجبره على الرجوع ... استمرت المقاومة باسم الإسلام ، فكانت ثورة محمد عبد الله حسن الذي قاوم الاستعمار الإنجليزي وحاربه أكثر من 20 سنة، ومع أن حركة محمد عبد الله عليها مآخذ كثيرة ، إلا أنها كانت ذات أثر طيب في محاربة الاستعمار ومخططاته الصليبية ، فقد كتب البرلمان الإنجليزي إلى السيد محمد عبد الله حسن وطلب منه توضيح مغزى جهاده ، فأجاب : جهادي ضد

الأسقف الذي وضعتموه في بلدة (ديمولي) .

وفي عهد سياد بري نشطت حركة التنصير ؛ حيث تلبست بثوب الإغاثة والمساعدة الإنسانية ، ففتحت الكنيسة في مقديشو أبوابها للمحتاجين والراغبين في مِنَحٍ دراسية في الدول الغربية .

وقد بلغ العدد المسجل لدى الكنيسة أكثر من (430ر000) اسم حسب ادعاءاتهم ، وكان من توقعاتهم أن العدد سيصل إلى (500ر000) نصراني عام 2000م ، وهذا في وجود حكومة ولو ضعيفة ، ومن البدهي أن العدد سيتضاعف مع الظروف الأخيرة .

إن الهيئات الإغاثية هدفها هو المتاجرة باسم الإغاثة ، وإلا فأين نتائجهم ، مع أن عددهم أكثر من (76) هيئة ؟ ! ، ولقد ذكر مؤلف كتاب (Lords Of Poverty) : أن ما يصل إلى اللاجئين أقل من 20% مما يجمعه هؤلاء باسم الإغاثة الإنسانية ، والحقيقة : أن هدف الهيئات الحقيقي هو المتاجرة باسم المجاعة والكارثة ، ومحاولة تنصير الشعوب المسلمة .

لقد كان للإغاثة الإسلامية أثرها الطيب في إغاثة المسلمين في الصومال سواء في الداخل أو في مخيمات اللاجئين حيث توجد بعض هذه الهيئات مثل :

1- المنتدى الإسلامي
2- مؤسسة الحرمين .
3- لجنة مسلمي إفريقيا .
4- جمعية إحياء التراث الإسلامي .
5- مؤسسة الإبراهيم الخيرية .
6- وكالة الرحمة .
7- الهيئة العليا ... وغيرها .

ولقد قامت هذه الهيئات بأعمال جليلة ، حيث : أنشأت مخيمات للاجئين ، وقامت بتوفير المواد الغذائية والصحية والمستلزمات الأخرى الضرورية ، ومن أعمالهم الطيبة قيامهم بإنشاء مطابخ جماعية في المناطق المنكوبة .

ورغم أن الهيئات الإسلامية قامت بأعمال جليلة ألا أنه كان ينقصها الإعلام القوي والتخطيط والتنظيم الرفيع والترتيب العملي فيما بينها .

إن ما تقوم به الهيئات النصرانية في الصومال يجب إيقافه ، وبالتالي إحلال هيئات إسلامية محلها ، وإلا فالنتيجة المتوقعة سيكون لها عواقب وخيمة .

ومن أنشط الهيئات النصرانية : الكنيسة السويدية المتعصبة ، ولها أكثر من هيئة في الصومال الآن ، منها :

1- الكنيسة السويدية للإغاثة (SCR) .
2- وهيئة ديكونيا (DEKONIA) .

وقد فتحت الأخيرة صالة لتجميل النساء ! ! في إحدى مدن شمال شرق الصومال .

ومن الهيئات النشطة : (الصليب الأحمر) ، الذي وضع علامة الصليب على المباني ، وكذلك كونسورن العالمية ، وكونسورن الأيرلندية (Concern) .

وصندوق إنقاذ الأطفال البريطانية (Savethe Children Fund) .

والعون المسيحي (The christin Relief) .

واللجنة الكاثوليكية للإغاثة (The christin Relief) .

وأطباء بلا حدود الفرنسية ... وغيرها .

لقد قام الإخوة الدعاة داخل الصومال وخارجها بمحاربة التنصير بين الأفراد ومتابعة نشاط المنصرين وأساليبهم ، ولقد كان للإخوة الدعاة جهود مشكورة ، حيث

فتحوا خلاوي (مدارس تحفيظ القرآن) ومدارس داخل المخيمات ، وكذلك مراكز للجاليات في الخارج ، كما قامت (الجمعية الإسلامية لمكافحة الحملات التنصيرية) في الصومال ومقرها مقديشو بأعمال جليلة ، مثل : جمع معلومات عن الهيئات التنصيرية وعدد المنصرين من الصوماليين ، وحصر مخططاتهم وكشفها للشعب الذي تذمر لما يقوم به هؤلاء من عمليات تنصيرية وغار لدينه ، فقام بقتل عدد كبير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية (Colonbo Salvadore)
في مقديشوعام 1990م.

بيان بأسماء الهيئات التنصيرية العاملة في الصومال :

1- الصليب الأحمر الدولي السويدي . 26- الإغاثة السويدية .
2- وكالة الإغاثة والتطوير اليهودية . 27- الحركة العالمية ضد الجوع (فرنسا) .
3- مجلس التضامن العالمي . 28- وكالة البحوث والتعاون في التطوير (بريطانيا) .
4- أوكسرم (البريطانية) . 29- الجمعية الأمريكية للصداقة.
5- كونسورن (الأيرلندية) . 30- شيفا (الإيطالية).
6- جول (الأيرلندية) . 31- ميسان (الكوري) .
7- تروكير (الأمريكية) . 32- التعاون (الإيطالي) .
8- اتحاد إنقاذ الأطفال (الأمريكية) . 33- المجلس العالمي للإغاثة والتطوير (بريطانيا) .
9- صندوق إنقاذ الأطفال (البريطانية) . 34- أوكسفورم (كوبيك - كندا) .
10- الكنيسة السويدية للإغاثة . 35- الصيدلة بلا حدود (فرنسا) .
11- كونسورن العالمية . 36- سمير تانس بورص (أمريكي)
12- كاريتاس الصومالية (إيطالية) . 37- العون المسيحي (بريطانية) .
13- اللجنة العالمية لتطوير الشعوب . 38- سوس (الإيطالية) .
14- هوم ريد . 39- سوس العالمية (أمريكية) .
15- المؤسسة الإفريقية للبحوث الطبية . 40- سوس للأطفال (نمساوية) .
16- اللجنة الأمريكية للاجئين . 41- فيشن العالمية (أمريكية) .
17- اللجنة الكاثوليكية للإغاثة . 42- المعونة للعمل الفني (ألمانية) .
18- اللجنة العالمية للإنقاذ . 43- هاند كوب العالمية .
19\- الطب العالمي . 44- الصداقة (الأمريكية) .
20- أطباء بلا حدود (بلجيكا) . 45- الخطوط العالمية (أمريكية) .
21- أطباء بلا حدود (فرنسا) . 46- كاندي (أمريكي) .
22- أطباء بلا حدود (هولندا) . 47- المؤسسة الخارجية لإغاثة المنكوبين (أمريكي) .
23- أطباء بلا حدود (أسبانيا) . 48- دارت (أمريكي) .
24- حركة العون (بريطانية) . 49- كير (الأسترالية) .
25- مجمع الطب العالمي (أمريكي) . 50- اللجنة الأوربية للإغاثة .

وأخيراً :

فتلك أوكار التنصير العاملة بين أفراد الشعب المسلم في الصومال ، والغريب أنه لا يوجد حضور للهيئات الخيرية الإسلامية إلا القليل مما ذكر سابقاً ، ألسنا مقصرين في حق أحبتنا هناك ؟ ! ثم : كيف نتعجب بعد ذلك مِن تنصر أعداد غير قليلة من الصوماليين ، باستغلال فقرهم وجهلهم ومرضهم ؟ ! .. إننا بحاجة إلى مزيد من الدعم والمساعدة لهم وجمع كلمة ذوي الشأن هناك على كلمة سواء ، حتى

تستقر أوضاعهم ، وتستقيم أحوالهم ، ومن ثم : العودة صفاً واحداً لبناء بلدهم الجديد، بعيداً عن كل التوجهات الحزبية والقبلية التي أوردتهم المهالك ، ولن يجمعهم سوى الإسلام ، وهو ما يعلنون جميعاً الإيمان به ..
والله من وراء القصد ..

المسلمون والعالم

الأزمة الشيشانية إلى أين ؟
مدخل لفهم المسألة الشيشانية

محمد أمين

تمهيد :

دخل المسلمون في القرون الأخيرة نفقاً مظلماً بسبب تفريطهم في أمور دينهم وابتعادهم عن أوامره واقترافهم نواهيه ، ولن يخرجوا من هذا النفق إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وأن يبدؤوا التغيير وفق السنن الشرعية والكونية ؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد : سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا لما تركتم من دينكم [رواه أبو داود ، ح/3462] .

وليُعلمَ أن غاية إصلاح المصلحين وغاية تغيير هذا الواقع المر يجب ألا تكون تكثير الأرزاق أو استقلال الشعوب والقرارات أو تحرر الاقتصاد أو ما شابه ذلك ، كلا ، بل يجب أن تكون غاية التغيير هي تعبيد الناس لرب العالمين ؛ ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : 56] ، وما سوى ذلك فهو تبع .

لذلك : فإن كل الحلول العجلى من المخلصين والغيورين على الدين التي تقع منهم بدون فهم كامل لسنن التغيير مصيرها الفشل وجر الأمة إلى مزيد من التخبط والتجارب الفاشلة .

ولعل مما يؤلم : أن نجد من إخواننا الدعاة إلى الله ممن نالوا نصيباً من الفهم لكتاب الله وسنة رسوله ومنهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة والجهاد، ينساقون وراء المتعجلين والمتسرعين والمزايدين ، ويحسنون الظن بمن هو ليس أهلاً لذلك ، ويستحسنون تلك الدعوات ، ويعجبون بتلك الشعارات البراقة دون تأمل في حقيقتها وخلفيتها ومآلاتها .

لقد آن أوان أن نقول لكل صاحب دعوة جهادية : قف وتأمل فيما تقول وتعمل، وعرّف الراية التي ترفعها وبرهن عليها ، واعرض ما تقول على أولي العلم والبصيرة حتى تستحق رايتك أن يوالى عليها ، ويدعى الناس إليها .

وهذا كله حتى لا تصاب الأمة وشباب الصحوة بالذات بالإحباط والزهد في نصرة الدعوات الصادقة .

ويؤلمني أن أمثل لقولي هذا بقضية مسلمي الشيشان ، ففي الوقت الذي تعاني فيه الأمة من الجراح التي تنزف ألماً ودماً في فلسطين وأفغانستان والبوسنة .. ينفجر جرح جديد في مكان آخر عزيز علينا في بلاد الشيشان في القفقاس ، فما أن أعلن الرئيس الجنرال جوهر دوداييف (القائد السابق لفرقة القاذفات الاستراتيجية في الجيش الروسي) قيام جمهورية الشيشان الإسلامية واستقلالها عن روسيا الاتحادية في نوفمبر (1991م) حتى بدأت المؤامرة من قِبَل روسيا لإفشال هذا الاستقلال (وليس إسقاط دوداييف) والعودة بالشيشان إلى الحظيرة الروسية النتنة .

وتتسلسل الأحداث حتى تنتهي باجتياح روسي وحشي وبربري للعاصمة

(جروزني) ومدن (شالي) و (أرجون) ، وما زالت المعارك مستمرة .

وتنزف الدماء الغزيرة ، وتبكي البواكي على أطلال (جروزني) ، وتزداد آلام المسلمين وحسرتهم ، ولكن صمود رجال الشيشان الأشاوس أمام الجيش الروسي خفف من آلام المسلمين والمحبين ، لأنه حط من كبرياء الجيش الروسي ، وأنزله من عليائه ، وحد من غطرسته ؛ فتنادى بعض المسلمين للجهاد ، وتعالت أصوات بأن هنالك هجمة صليبية جديدة ضد المسلمين قد بدأت في بلاد الشيشان ، وأبرز الإعلام المحلي والعالمي هذه الحرب وبيّن حجم الدمار والقتل الذي حل بالبلاد والعباد .. وكلٌ له مقصد ، والله يعلم هدفه .

والمسلمون والدعاة مستبشرون خيراً بقرب أوان بزوغ فجر جديد للإسلام في تلك البلاد ، وقيام دول إسلامية مستقلة بعد ما يزيد عن قرنين من الاستعمار الروسي الكريه ، وبنوا استنتاجهم على فرضيات ظنوها حقائق وحسابات حسبوها قواطع ، وهي :

1- أن القفقاس بأكمله سيهب للمناداة باستقلاله بعد أن شاهد الصمود البطولي للجيش الشيشاني والمتعاونين معه .

2- أن المتاعب الاقتصادية التي تعاني منها روسيا وتكاليف الحرب الباهظة : كفيلة بإنهاكها وإفقارها .

3- تزايد أعداد القتلى والمصابين خاصة بعد أن تقوم حروب العصابات الكفيلة باستنزاف الجيش الروسي .

4- إمكانية ظهور معارضة قوية ضد يلتسين ، تزيله من حكم البلاد ، وتعترف بحق الشعوب القفقاسية في الاستقلال .

5- وجود نزعة دينية في تلك الشعوب كفيلة بتوحيدها وإثارة روح الجهاد فيها ضد المستعمر الروسي .

لكل هذه الأمور والأسباب يظن الظانون بأن هذه الحرب ستسفر بإذن الله عن قيام دول إسلامية في تلك المنطقة ، لذلك لابد أن تدعم هذه الحرب ويستنزف الجيش الروسي فيها ، وترفع راية الجهاد ، وتتحمل كافة تبعات هذا الموقف .

ودللوا على إسلامية المعركة الدائرة بما يلي :

1- إعلان الاستقلال عن روسيا الكافرة وتكوين جمهورية الشيشان الإسلامية .

2- أن جوهر دوداييف نادى بالإسلام ، وبالحل الإسلامي ، وبالانفصال عن روسيا ، ومنع الخمور أخيراً .. !

3- إحسان الظن بالقيادات على اعتبار أنها إسلامية الأصل ، وأنها راجعة إلى الله بعد الجهل والضلال الذي كانت فيه ، ويجب أن لا نطالبها بما لا تستطيعه الآن .. !

4- أن لهذه الشعوب تاريخاً عريقاً في مقاومة الروس وجهادهم ، وهي لن تهدأ حتى تحقق غايتها في إخراج الروس والانفصال عنهم .

5- يكفي في هذه الحرب أنها ضد روسيا التي أذاقت المسلمين مر العذاب ، وتآمرت عليهم في (البوسنة) .

دعوة للتأمل ! :

وفي ظني أنه قبل مناقشة هذه الفرضيات والجيثيات وأنا لن أناقشها أحب أن ألفت النظر إلى بعض النقاط التي أحسبها مهمة جداً ومعينة إلى حد كبير في إصدار الحكم على مثل هذه القضية ، لذلك سأورد بعض الوقائع على هيئة نقاط وأترك تحليلها للقارئ الكريم ، وهي أنه لابد لنا من :

1- معرفة الواقع السياسي الموجود على الساحة السياسية الروسية ، ووجود قطبين مهمين ، وهما : يلتسين ووزير دفاعه من ناحية ، والمعارضة بقيادة إيجور

جيدار (رئيس الوزراء السابق) وأعوانه من ناحية أخرى ، وكل قطب له أعوانه وأنصاره النافذين في الدولة ، وليس من السهولة القضاء على أي واحد منهما ، مع أن كل واحد منهما يسعى للسيطرة على مقاليد الحكم وخدمة أهدافه .

2- أيضاً لابد لنا أن نعرف ونحدد دوافع حرب روسيا على الشيشان ، وهل هي بسبب :

أ- الدافع الأمني الروسي : لكي تحمي روسيا حدودها الجنوبية التي تشهد القلاقل والنزاعات ، وأيضاً لما تمثله الشيشان من ثقل استراتيجي في المنطقة نتيجة الموقع والكثافة السكانية (2 . 1 مليون نسمة) .

ب- الدافع العسكري الروسي الداخلي : حيث إن القيادة العسكرية الروسية الممثلة في بافل جراتشوف وزير الدفاع تعاني من فساد مالي كبير وتواجه اتهامات بذلك ، إضافة إلى فقدان الانضباط في الجيش الروسي ، وتدني كفاءته القتالية ، فجاءت هذه الحرب لإخفاء هذه العيوب وصرف النظر عنها .

ج- الدافع الاقتصادي الخارجي : حيث إن أذربيجان وقعت اتفاقية تعاون مع مجموعة من شركات النفط العالمية المتعددة الأجناس بقيادة (بريتيش بتروليم) (صفقة القرن) ، وذلك لاستخراج ونقل (511) مليون طن من النفط من أذربيجان إلى أوروبا ، فأرادت روسيا الاستفادة من عوائد هذه الاتفاقية الكبرى ، لأن طريق النقل المرشح يمر عبر أنابيب نفط الشيشان .

د- دافع استغلال النفط الشيشاني : حيث إن الشيشان من المناطق الغنية بالنفط في روسيا ، فلم ترد روسيا التفريط فيها ، ولكن لو نظرنا إلى إنتاج الشيشان من النفط في عام 1993م لوجدنا أنه (6 . 2) مليون طن ، وإنتاج روسيا للفترة نفسها (354) مليون طن ، لعلمنا أن ما يمثله إنتاج الشيشان للنفط ليس بالإنتاج المغري لروسيا .

هـ- الدافع السياسي الداخلي ليلتسين : أراد أقطاب السياسة في روسيا أن تكون أزمة الشيشان وأرضه ميدان المعركة الحقيقي بينهم ؛ فالذي ينتصر فيه سيملك كثيراً من أوراق اللعبة السياسية في روسيا ، ولعل مما يؤكد ذلك : التناقض الكبير في مواقف السياسيين والعسكريين الروس من هذه الحرب ، أضف إلى ذلك : انتشار فضائح الجيش الروسي في التلفاز المستقل والصحافة الروسية .

و- الدافع الديني (الصليبي) : شنت روسيا هذه الحرب ، لأنها تتخوف من المد الإسلامي الذي بدأ يصحو في روسيا ، ولكننا بنظرة سريعة متأملة نجد أن عدد المسلمين في روسيا الاتحادية حوالي عشرين مليوناً من أصل (150) مليون روسي، أي : بنسبة 7% من عدد السكان ، وهي نسبة غير مؤثرة ولا فعالة خاصة إذا عرفنا مدى الجهل الذي يعيشه المسلمون هنالك وقلة الجهود بل ندرتها التي تركز على تعليمهم وتشغيلهم .

3- لابد من معرفة مدى تأثير سبعين سنة من الحكم الشيوعي التسلطي على الشعوب الإسلامية ، وحجم التضليل الذي سلط عليهم عبر البرامج الإلحادية والحزبية ، وما أسفر عن ذلك من تكوين جيل من تلك الشعوب تتبنى قيم ومبادئ الاشتراكية والعلمانية التي تخالف أصول دينه ومعتقداته .

4- لابد لنا من معرفةٍ أكثر تفصيلاً بالشعب الشيشاني وقياداته :

أ- معرفة الخلفيات السياسية والثقافية للقيادات الشيشانية المؤثرة الآن على الساحة ، ومعرفة صدق توجهاتها وإخلاصها لمبادئها .

ب- معرفة التركيبة القبلية الموجودة في المجتمع الشيشاني ، وهو نظام التايبات وهو القبيلة المكون من غارات أي : جماعات وتوجد في الشيشان (170) تايب ، (100) من التايبات الجبلية ، و (70) من السهلية ، ويجب أن نحدد أساس

ولاء تلك التابيات للقادة ، هل هو على أساس ديني أو قومي ، سياسي أو مادي .
ج- معرفة الخلفية الدينية لتلك الشعوب ومدى تغلغل الإسلام الصحيح الخالي من الشرك في نفوسهم وواقعهم ، ومدى فهمهم للإسلام ، وهل الموجود لديهم الآن هو الحد الأدنى المقبول الذي يعتمد عليه في حرب جهادية نأمل من ورائها نصر الله وفتحه .
5- لابد من معرفة أوضاع شعوب القفقاس الأخرى ، وما هو موقفها من هذه الحرب ، كذلك حقيقة أوضاعها الدينية والاقتصادية والتركيبة الاجتماعية وولاءاتها السياسية .
6- موقف الدول الغربية وبالذات أمريكا من إشعال هذه الحرب ، ومدى الإفادة التي سيحققها الأمريكان والغرب من هذه الحرب وتطوراتها ، مع الأخذ في الاعتبار الأمور الآتية :
أ- مازالت روسيا في نظر الغرب قوة عظمى يحسب لها حساب ، وهناك قلق ومخاوف من أن تعود روسيا للحكم العسكري المخابراتي التسلطي .
ب- الإمكانات العسكرية والبشرية الضخمة التي لدى روسيا ، وبالذات في القدرات النووية والصواريخ والأسلحة التقليدية ، أضف إلى ذلك عدد السكان الذي يبلغ (150) مليوناً .
ج- البنية التحتية الضخمة التي تملكها روسيا التي وإن كانت تفتقد إلى الحداثة ، ولكنها قادرة على تلبية احتياجات روسيا الضرورية ، وبالذات في أوقات الأزمات .
د- الموارد الطبيعية الهائلة التي تزخر بها روسيا الاتحادية .
هـ- المساحة الشاسعة من الأراضي التي تحقق لروسيا عمقاً استراتيجياً ليس من السهولة إغفاله .
6- موقف القوى الإقليمية المحيطة بالقفقاس ، ومدى إفادتها من هذا النزاع (إيران ، أذربيجان ، تركيا) .
7- لابد لنا من أن نعرف تسلسل الأحداث في جمهورية الشيشان منذ عام 1991م وحتى الاجتياح البربري الروسي في 11/12/1994م ، حتى نحدد صدق دعوى كل فريق ، وصدق الراية التي يرفعها . والأحداث باختصار هي :
أ- عقد المؤتمر العام للشعب الشيشاني في 25 نوفمبر 1990م ، وحضرته مجموعات متنافسة ، أهمها : مجموعتان ، لكل مجموعة أنصار من القبائل الشيشانية ، وهما :
1- التقليديون برئاسة ليتشا أمخاييف وتدعمه حركة (دايمو كخ) التي تتزعمها واحدة من أكبر قبائل الشيشان ، والتحق به سلام بيك نائب البرلمان الروسي في الاتحاد السوفيتي السابق ، ووزير صناعة الكيمياء البترولية في روسيا ... وغيرهم .
2- القوميون : وتمثل هذه المجموعة (الحزب الديموقراطي الفيناخي) برئاسة زيليمخان ياندارييف ، وحركة (غولام) ، و (حزب الطريق الإسلامي) برئاسة جانتيمروف ، و تزّعم القوميين آنذاك كل من بيسلان جانتيميروف و ياراجي ماداييف الذي أصبح فيما بعد مسؤولاً عن النفط الشيشاني ، وهما اللذان تزعما المؤتمر وطالبا بتقسيم السلطة في الجمهورية بصورة عادلة وقاطعة .
ب- تم في مايو 1991م عقد المؤتمر الثاني للشعب الشيشاني ، وقد أحرز القوميون فيه انتصاراً ساحقاً بقيادة ياراجي ماداييف ، ورئيس (الحزب الديموقراطي الفيناخي) زيليمخان ياندارييف على التقليديين ، وانتخب دوداييف رئيساً للّجنة التنفيذية للمؤتمر ، الأمر الذي أدى إلى الانشقاق ، وترك المؤتمر كلّ المثقفين برئاسة ليتشا أمخاييف و سلام بيك حاجيف .

ج- بدأت ثورة (فيناخ) في 6 سبتمبر 1991 ، ولعب فيها أتباع ممادايف ودعمه المالي دوراً مهماً في الانتصار ، وتقاسم الظافرون مقاعد القيادة مؤقتاً فيما بينهم .

د- في 27 أكتوبر 1991 عين دوداييف رئيساً ، وترأس جانتيمروف الحرس القومي ، وعين ممادايف وزيراً للنفط ، وهو أهم منصب على الإطلاق في الدولة ، وهو السبب فيما حدث بعد ذلك .

هـ- في نوفمبر 1991 أعلن استقلال الشيشان عن روسيا الاتحادية .

و- في أوائل 1992 غادرت القوات الروسية الشيشان ، وتركت باختيارها الأسلحة والمعدات الحديثة والطائرات في الشيشان .

ز- في مارس 1992 خططت المعارضة وقامت بهجوم فاشل على العاصمة (جروزني) ، وفي أثنائه جاء دعم سريع من (موسكو) للحكومة مقداره (150) مليون روبل ، تبعه في أغسطس 1992 دعم آخر مقداره (500) مليون روبل ، وفي أواخر عام 1992 وصل (موسكو) ممادايف ، وطلب مبلغ (2 . 5) مليار روبل للحكومة ، واستجيب لطلبه .

ح- وقع نزاع بين أقطاب السلطة علي البترول : ممادايف وأتباعه من جهة، ودوداييف وأتباعه من جهة أخرى خاصة إذا عرفنا أن إجمالي الدخل من النفط خلال سنتي الحكم بلغ (5 . 2) مليار دولار ذهبت لأقطاب السلطة من الطرفين ، وبدأ كل طرف يبحث عن فضائح الآخر ، وحصلت اغتيالات في كل من (جروزني) و (لندن) بسبب هذه الأمور ، وبدأت القبائل (التايبات) تميل إلى أحد الطرفين بحسب مصالحها .

ط- انقسم البرلمان نتيجة لهذا الصراع إلى قسمين : قسم مع دوداييف وعدده (12) برلمانياً ، و (29) مع المعارضة .

ي- خطط البرلمان لإجراء استفتاء على الثقة في دودايف والبرلمان في 5 يونيو 1993 ، وليس على الاستقلال .

ك- في 4 يونيو تم تحطيم اللجنة الانتخابية من قِبَل أنصار دوداييف ، وفي 5 يونيو وقعت الاصطدامات بين القوى المعارضة والحكومة ، وفرّق دوداييف بواسطة المصفحات اجتماعاً لأنصار إجراء الاستفتاء ، وألغيت بطاقات الاقتراع .

ل- أصبح جانتيمروف الذي كان رئيساً للحرس وعين بعد ذلك وزيراً عدواً لدوداييف ، وانحازت معه تشكيلات مسلحة من الجيش ، وأعلنت منطقة (نادتير يتشيني) استقلالها وتكوين (الجمهورية الشيشانية) على التيرك ، وأصبح زعيمها المحافظ السابق للمدينة عمر أفترخانووف .

م- نتيجة لهذه الصراعات ، وبعد الفضائح التي لحقت بممادايف ، فقد هرب إلى (موسكو) ، وأصبح رئيساً لحكومة الثقة الوطنية ، واستقر الوضع إلى حدّ ما لدوداييف .

ن- كانت القوى السياسية في (موسكو) ترقب الوضع في الشيشان عن بعد ، ويحاول كل طرف أن يلعب بالأوراق التي في يده لإضعاف الطرف الأخر (أنصار السلام ، وأنصار الحرب) .

س- في أكتوبر عام 1993م حينما رفض دوداييف التوقيع والمشاركة في الاستفتاء الخاص بدستور روسيا الاتحادية ، قوي اتجاه أنصار الحرب وبدأت عجلة الحل العسكري بالظهور ، وتبع ذلك تبني أنصارُ الحرب المعارضةَ الشيشانية وتسليحها ودعمها ضد دوداييف ، وانتهت بالاجتياح الروسي للعاصمة (جروزني) ومدن (شالي) و (أرجون) ، وما زالت المعارك مستمرة .

8- لابد من معرفة أن مع الجيش الروسي قطاعاً كبيراً من المعارضة

الشيشانية ، وهم وإن كانوا يؤيدون الاستقلال ، ولكن ليس بمفهوم دوداييف ، ويرون في هذه الحرب أنها حرب سياسية وليست دينية ، وفي الجانب الآخر : يقاتل في صفوف دودايييف جماعات من (جورجيا) و (أوكرانيا) ومن دول البلطيق .

نحو نظرة أكثر موضوعية لتحليل الأحداث :

لذلك : فإني أحسب أن إيراد مثل هذه النقاط ، التي تعبر عن وقائع ملموسة غير خافية على أحد ، كفيلة بإعطاء تصور شبه واضح عن حقيقة هذه الحرب ودوافعها ومآلاتها ونتائجها المتوقعة على المسلمين على المديَين المتوسط والبعيد وعلى التوازنات الإقليمية والدولية .

إنني أرجو بهذا العرض السريع لواقع الأزمة الشيشانية أن أكون قد لفتّ نظر الأخوة إلى جانب آخر من القضية جدير باهتمامهم وعنايتهم ، تاركاً لهم استنتاج النتائج ، وأرجو مع ذلك أن نخرج على الأقل بتصور عام واضح عن هذه القضية وإن لم نتفق على كل تفصيلاتها ، على أن نضبط جميع مواقفنا وقراراتنا ورؤانا بضابط الشرع (من كتاب وسنة) على فهم السلف الصالح ، وأن لا ننساق وراء المكاسب الوقتية والأهداف القريبة ، وننسى المكاسب الدائمة والأهداف الاستراتيجية وتحقيق الغاية العظمى ، ألا وهي : تعبيد الناس لرب العالمين .

وما سبق ذكره أجمله فيما يلي :

أولاً : الحرص على فهم كتاب الله وسنة رسوله فهماً صحيحاً وفق منهج السلف الصالح (رضوان الله عليهم) ، وأن نستخلص من ذلك منهج التغيير الشرعي وفق السنن الشرعية والكونية .

ثانياً : الحرص على النظرة البعيدة للوقائع والأحداث ، وأن لا نتنازل عن الأهداف الاستراتيجية والغاية العظمى لمكاسب وقتية وأهداف مرحلية .

ثالثاً : أن لا ننخدع بوسائل الإعلام العالمية والمحلية ، وأن ننظر في الأخبار نظرة فاحص ومدقق ومتثبت ، وأن لا نخدع بالعبارات المنمقة والتهويشات والمبالغات الإعلامية أو التحقيقات السطحية العاطفية .

رابعاً : أن لا نتخذ مواقف في القضايا الحاسمة إلا بعد عرضها على أولي العلم والبصيرة ، بعد عرض الوقائع والخلفيات للحدث والمؤثرات التي تؤثر فيه ، والنتائج المترتبة عليه .

خامساً : أن لا ننسى ونحن نواجه هذا النظام العالمي الجديد قول الله (تعالى) :
﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ [ابراهيم : 46] فأولياء الشيطان من اليهود والنصارى يخططون ويعملون ويستحمرون من يحقق لهم أهدافهم بغض النظر عن دينه ومعتقده وسلوكه ، فالحذر الحذر من أمثال هؤلاء ودعواتهم .

سادساً : يجب على الدعاة تحديد الأولويات ، وأن تكون أولى الأولويات نشر التوحيد ومحاربة الشرك الأكبر ، وهذا لا يتحقق إلا بنشر العلم ، وتوفير وسائله ومصادره ، فلا نصر ولا تمكين إلا للموحدين ؛ ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي .. ﴾ [المجادلة : 21] .

سابعاً : أن القيادة السياسية في الشيشان هي قيادة عليها كثير من الملاحظات : من حيث تاريخها السياسي ، وخلفيتها السابقة في الحزب الشيوعي ، ودوافعها في الإعلان عن هذه الراية الإسلامية مع عدم الفهم الحقيقي لها ولما تعنيه من التزامات وتبعات وولاءات ، ثم عدم توفر أسباب النصر الشرعية والكونية .

ثامناً : إن هذه الحرب هي حرب سياسية قمعية من روسيا ، لها دوافع كثيرة في إشعالها ، منها :

1- حسم الخلافات السياسية في (موسكو) بين أقطاب الحكم ، وتقوية موقف

الرئيس يلتسين ووزير دفاعه أمام المعارضة .

2- إثبات هيبة الحكومة الروسية في المجالين الداخلي والخارجي بوصفها قوة عظمى مازالت تمسك بزمام الأمور وتتحكم في مساراتها .

3- تريد الحكومة أن تعطي درساً قاسياً للشعوب الأخرى التي تطمع في طلب الاستقلال عن روسيا ، وذلك بواسطة تدمير الشيشان .

4- الدافع الاقتصادي ورغبة روسيا بأن لا تفلت من يدها الفرصة الاقتصادية النفطية التي حدثت في أذربيجان ، وكذلك إثبات حضورها القوي في المنطقة .

تاسعاً : إنني أستحث الأخوة الغيورين على دينهم وأمتهم بأن يمدوا يد المساعدة العلمية الدعوية أولاً والإغاثية ثانياً ، فهذا أهم ما يحتاجونه الآن ، والمجال متاح لمن أراد ذلك ، وبالذات من خلال المناطق المجاوره بإذن الله (تعالى) .

عاشراً : أن الوضع السياسي الداخلي في روسيا المعقد بدرجة كبيرة والتدهور الاقتصادي يجعلان من الصعب إصدار أحكام قاطعة ونتائج نهائية لأي تحرك سياسي أو عسكري .

وختاماً : فإنني لا أدعي الإحاطة بكامل الموضوع ، ولكنني أفتح باباً للتأمل ولتأصيل منهج في اتخاذ المواقف ، أرجو من الإخوة أن يتأملوه ويتفكروا فيه ، داعياً الله أن يعلي كلمته ويعز أولياءه .. والله غالب على أمره ..

متابعات

هذا هو واقع المسلمين في الفلبين
(نقد لما نشر سابقاً حول الموضوع)

بعد صدور العدد (85) من البيان الذي تضمن مقالة عن مسلمي الفلبين تحت عنوان : (نظرات في واقع المسلمين في الفلبين) للأخ الفاضل الحافظ يوسف موسى، ومع ما أجريناه على أصل المقالة من تعديل وتقييد لإطلاقاتها وتهذيب لأسلوبها وتعليق : فإنها مع ذلك واجهت نقداً ساخناً من بعض الأخوة الأحبة الذين عتبوا على البيان نشرها تلك المقالة التي هضمت الجهود الكبيرة للعاملين في الدعوة إلى الله بين مسلمي الفلبين ، ولقد وصلنا أكثر من رد وعتاب ، من أوسعها تناولاً مقالتان :

الأولى : للشيخ سعود العوشن ، والأخرى : لأخينا المستشار عبد الرحمن السنيدي ، ونظراً لطولهما فقد اضطررنا لاختصارهما لضيق المساحة ، شاكرين لهما إيضاحهما وما أبدياه من تعليق موضوعي ، وفق الله الجميع .

- البيان -

تعليق الشيخ سعود العوشن ، ويمكن تلخيصه فيما يلي :

1- إن مقالة الأخ الحافظ يوسف موسى كالت التهم بما يغاير الحقيقة والواقع، ولو أنه اقتصر في مقالته على مشاهداته ومعاناته في رحلته لكان هذا هيناً ، لكنه عمم وأطلق بما يخالف الحق والحقيقة .

2- نسي الكاتب أن من مسلمي الفلبين الكثيرين من خريجي الجامعات الإسلامية وبخاصة في السعودية وغيرها .

3- أن ادعاء عدم الرد على الرافضة غير صحيح ، وذكر الشيخ سعود العديد من الكتب والرسائل العلمية المترجمة إلى اللغة الفلبينية ، مثل : (الخطوط العريضة) لمحب الدين الخطيب ، و (هذه نصيحتى لكل شيعي) للشيخ أبي بكر الجزائري ، و (بروتوكولات قُمْ) ، و (أبرهة القرن العشرين) ... وغيرها ، وقد وزعت على نطاق واسع بين مسلمي الفلبين ولاسيما طلبة العلم والدعاة من خلال

المؤسسات التعليمية والدعوية .
4- أن جل المساجد في الفلبين ولا سيما ما أنشأته الجمعيات الخيرية هي مساجد لأهل السنة والجماعة ، وأنه لا يوجد بها أي تصوف أو تشيع ، وجهود الجمعيات الخيرية ولاسيما من دول الخليج لها دورها في توعية المسلمين وبخاصة (جمعية التنمية الإسلامية ، التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت) ، و (جمعية الوقف الإسلامي) في (مراوي) ، وإدارة الدعوة ب (مركز ابن تيمية) في (كوتاباتو) وغيرها .
5- وضح الشيخ سعود الأنشطة الإسلامية التي ترعاها تلك الجهات موزعة في جنوب الفلبين ، وأن هناك خمسين معهد إسلامياً ، يشتمل كل معهد على أربع مراحل : الحضانة ، والابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية ، وهناك الكليات الإسلامية العشر ، وحلقات القرآن الكريم ، ويبلغ عددها ما يقارب الخمسمائة حلقة .
وساق الشيخ سعود المشاريع التي تقوم بها تلك الجهات ، من إنشاء المدارس والمعاهد والكليات والمساجد ، وحفر الآبار ، وبناء دور الأيتام ومدارس تحفيظ القرآن ، وما تقوم به من جهود إعلامية من استئجار للإذاعات لبث التوعية الإسلامية للمسلمين هناك ، وترجمة العديد من الكتب الإسلامية لنخبة من العلماء المعروفين والمشهود لهم بالعلم والفضل والدعوة إلى الله ، وبيّن المشاريع الخيرية كمشروع إفطار الصائمين ، وذبح الأضاحي ، وتوزيع الصدقات ، ومساعدة المتضررين في الكوارث والحروب .
ثم ختم مقالته بالدعوة إلى تحري الصدق وعدم التعميم ، وتجنب إطلاق الكلام على عواهنه ، لما في ذلك من أضرار ومن جحود لجهود العاملين في حقل الدعوة هناك مما هو مشاهد وملموس ، وتمنى لو أن الكاتب قصر انطباعاته على مشاهداته الخاصة حتى يلتمس له العذر ، أما وإنه عمم ، فإنه قد جانب الصواب وتناسى جهود العاملين هناك ، وبإمكانه زيارة تلك الجمعيات والاطلاع على جهودها من كثب .

ثانياً : مختصر مقالة المستشار عبد الرحمن السنيدي :

أما مقالة المستشار عبد الرحمن السنيدي فنعرضها مختصرة نظراً لطولها وضيق حيز النشر :
... نظراً لأن لي بعض الأطلاع على العمل الخيري والدعوي وأحوال المسلمين في الفلبين ، لذلك فإنني سوف أبين أهم الملحوظات والمرئيات والأخطاء التي وردت في مقالة الكاتب ، ليكون هو وقراء مجلة البيان على علم بحقائق الواقع بعيدين عن كيل التهم جزافاً والتعميم وإطلاق الكلام بلا دليل .
أولاً : اعتقد أن الكاتب لا يعرف بنفسه أحوال المسلمين وواقعهم في الفلبين حقيقة ، إذا أحسنا الظن به وقلنا : إنه لم يتعمد كيل التهم ومخالفة الحق والواقع والرمي بالنقائص والمعائب ، فهذه أعمال الجمعيات القائمة بالعمل الخيري هناك ؛ وحتى يقف القارئ على وجه الحق : أبين ما يلي :
من الجمعيات العاملة هناك : (جمعية الوقف الإسلامي) التي تأسست قبل أكثر من 10 سنوات ، وتقوم بمعظم أنواع النشاط الإسلامي من دعوة وتعليم للدين الإسلامي باللغة العربية من الروضة حتى الكليات الجامعية بنين وبنات ، مع الفصل بينهم والتزام الحجاب فلديها 3 كليات يتبعها 12 معهداً ، وعشرات المدارس ، و 200 مدرسة قرآنية ، و9 دور للأيتام ، وتكفل 570 داعية ، وقامت ببناء أكثر من 240 مشروعاً إسلامياً بين مركز ومسجد ومدرسة ، وحفرت أكثر من 145 بئراً للمسلمين هناك ، ولديها مكتبة عامة للمسلمين ، ومكتبة لبيع الكتاب والشريط الإسلامي بالتكلفة ، ومركز للترجمة ، ويتبعها إدارتان للدعوة وجمعية نسائية ، وتدفع

الرسوم الدراسية عن آلاف الطلبة والأيتام المسلمين ، ودعمت أكثر من 300 مسجد و 300 جمعية بمساعدات مقطوعة (ثابتة) ، وتقوم سنوياً بتوزيع آلاف المصاحف والكتب للمسلمين ، وطبع وترجمة جزء منها حسب أهمية الحاجة ويجري العمل لديها بنظام محكم وإشراف ومتابعة وفاعلية ، ولديها في هذا المجال عمل جيد يساعد العاملين في الميدان في العمل الإسلامي والقائمين عليه ، ويختصر الوقت والجهود والمال والورق والروتين يتمثل في إعدادها ل (86) نموذجاً للسير عليها في العمل الدعوي والخيري ، مما يعطيه فاعلية ونشاطاً وسهولة إشراف ومتابعة وحسن أداء ، وهناك جمعية إقامة الإسلام ، وجامعة (مسلم مندناو) ويتبعها عدد من الكليات و (78) معهداً ومدرسة وغير ذلك ، وهناك جمعية (التنمية الإسلامية) وتركز على المشاريع الاستثمارية وتدعمها جمعية (إحياء التراث الإسلامي) ، ولها عدد من المدارس والمشاريع الإسلامية ، وأنشأت إذاعة إسلامية كبيرة سوف تغطي (مندناو) كلها بالبث وهي ثلث الفلبين ، وهناك (مركز الشباب العربي) و (جمعية النور الإسلامية) ... ، وغير ذلك كثير من الجمعيات والمراكز والمؤسسات الإسلامية ، يدرس أغلبها علوم الإسلام باللغة العربية ، ويتبعها مئات المعاهد والمدارس الإسلامية ، وعشرات الكليات ودور الأيتام ، والمئات من حلقات تعليم القرآن ، وتوجه وتشرف على آلاف الدعاة بعضهم مكفول وآخرون متطوعون ، ويقدر عدد الجامعيين منهم بأكثر من (500) فرد ، يهتدي على أيديهم كثيرون من العصاة ، ويسلم مئات من النصارى ومن لا دين لهم في كل عام ، بالإضافة إلى القيام بالنشاط الدعوي في مختلف الأوجه ، وتنظم لهم وللأئمة والمدرسين دورات شرعية وتربوية من قِبَل الجمعيات الكبيرة تزيدهم فاعلية وعلماً واطلاعاً ، وغير ذلك من أوجه النشاط الدعوي والعمل الخيري التي يطول بنا ذكرها .

ولذلك : فإن ما ورد في المقال من عبارات أريد بها التهوين من شأن الجمعيات والمراكز الإسلامية العاملة هناك ووصفها بالوهن والهزال هو خلاف الواقع ، لأن أغلب أو عامة الذين يتولونها هم من المسلمين المعروفين بالعلم والفضل والتفاني في الدعوة إلى الله ، هذا ما نحسبهم والله حسيبهم .

ثانياً : المسلمون الأصليون : وهنا مربط الفرس وبيت القصيد ، فكل ما ورد من كلام في المقال عنهم من همز ولمز وذم : تهم عامة عارية من الدليل والحجة والبرهان ، ولم تراع فيها أمانة الكلمة ومسؤوليتها في الإسلام ، ولذلك : فقد أثار المقال بين شريحة من القراء الذين لا يعلمون عن واقع المسلمين هناك شيئاً بالمشاهدة أو الزيارة أثار موجة من الحيرة والسخط ، سوف أردها بعون الله انتصاراً للحق وبياناً له ورفعاً للاتهام والظلم عن إخواننا هناك ، من واقع اطلاعي ومشاهداتي لأحوالهم فأقول :

* تحدث المقال عنهم بصفة اللمز والتنقص حيث وصفهم بالمسلمين بالوراثة أو الميلاد أربع مرات ، خلافاً للمتعارف عليه هناك من صفة المسلمين الأصليين .

* دعوى أن الدعم الذي يصلهم من بلاد المسلمين لا يوزع إلا على السلاطين وقليلين من غيرهم ، فأي سلاطين وأي قليلين ؟ ! فليذكرهم إن كانت هناك حقيقة ، أما الرمي جزافاً فظلم وغير صحيح ، فالذي أعرفه من مشاهداتي أن الجمعيات الخيرية التي سبق ذكرها تنفذ مشاريعها التعليمية والدعوية وغير ذلك (في الغالب في الجنوب) بمعرفتها عن طريق نخبة مختارة من خريجي الجامعات الإسلامية في السعودية أو غيرها ، أو في بلادهم من أبناء ودعاة وعلماء المسلمين هناك ، وفي المقابل لم يذكر حاجاتهم ومطالبهم كما ذكرها للفئة الأخرى .

* وصفهم عموماً بالكسل وأن عدداً منهم يبيع أرضه للنصارى ويهاجر إلى المدينة في الشمال بخطة من الكنيسة ، وهذا اتهام عام بلا تحديد ، فليته ذكر منطقة بعينها أو أشخاصاً أو فئة معينة ، ليتم الاتصال بهم من قبل الجمعيات الخيرية

ونصحهم ومعالجة أمرهم ، ولكن الذي نعرفه ويعرفه غيرنا أكثر ممن له صلة بالعمل الإسلامي هناك : أنهم من أجود المسلمين تبرعاً بأراضيهم وقفاً في سبيل الله للأعمال الخيرية وتعاوناً في ذلك ، وآية ذلك : أن أغلب أراضي مشاريع الجمعيات الخيرية الإسلامية من أوقافهم [*] ، وأعرف جمعية منها نفذت أكثر من 235 مشروعاً ما بين مسجد ومدرسة ودار أيتام ومركز إسلامي وبئر ، تم بهذه الصفة ، فكيف تقلب حسنات هؤلاء الإخوة المسلمين في المقال إلى سيئات ويبخسون حقهم ، ويتهمون تهماً باطلة قد تنطلي على من لا علم له بحقائق الأمور ؟ ! ، والإحصائيات لدى العاملين والجمعيات تزخر بالشهادة بهذه الحقائق .

* ذكر أنه لا يوجد مسجد واحد باسم أهل السنة والجماعة في المدن الكبرى نهائياً : وهذه من سقطات المقال الكبرى وشطحاته ، ولعل هذا ما يؤكد أن كاتب المقال لا يعرف شيئاً عن واقع المسلمين هناك إضافة إلى ما سبق ، وإلا كيف يجرؤ على مثل هذا القول والتعميم والحكم الذي سوف يكذبه ويرى عكسه كل زائر للفلبين، ومثل هذا القول البيّن بطلانه في ذاته لا يحتاج إلى دليل على ذلك ، فكل المدن التي يوجد بها المسلمون بها مساجد لأهل السنة والجماعة ، وأطمئن القراء الكرام والمشفقين على العمل الإسلامي هناك بالذات بأنها بحمد الله بالمئات ، بل بالآلاف ، وأنه يوجد في مدينة (مراوي) وحدها أكثر من (96) مسجداً ، كلها بفضل الله لأهل السنة والجماعة ، وقد حضر (80) إماماً من أئمتها دورة شرعية أقامتها لهم (جمعية الوقف الإسلامي) مدتها (6) أشهر ، وقد كان لي شرف حضور حفل التخرج في هذه الدورة يوم 27 شعبان الماضي 1415هـ أثناء وجودي هناك ، فكيف يجرؤ أحد على إطلاق مثل هذه المقولة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

* ذكر أن المسلمين بالميلاد لا يعرفون العقيدة الصحيحة ، ولا يميزون بين الحلال والحرام ، وأن بعضهم صوفي ، في حين يذكر أن المسلمين الجدد أوسع فهماً ومعرفة بالأمور الشرعية وأكثر نشاطاً من المسلمين بالوراثة ، وهذه والله واحدة من العظائم والرزايا ، وكل واحدة هي أكبر من أختها ، فكيف يصدق هذا الزعم الواضح بطلانه ، فهل يعقل أن يكون من دخل في الإسلام جديداً وقد أمضى معظم عمره في النصرانية محجوباً عن تعاليم الإسلام ، ولم يعرف عنه إلا من خلال مترجمات مختصره أو دعوة من مسلم ، أن يكون أعلم بالأمور الشرعية وأوسع فهماً من أولئك المسلمين الذين تعلموا العلوم الشرعية من صغرهم باللغة العربية ، وتخرج كثير منهم في جامعات ومعاهد إسلامية ، واطلعوا على كثير من الكتب والمراجع الشرعية ، هذا لا يكون ، ولكنها المغالطة والخلط .

* ومن ذلك رمي معظمهم بالتصوف زوراً وبهتاناً ؛ فالذي أعرفه من زياراتي لبعض البلاد الإسلامية في إفريقيا وآسيا أن أحوال المسلمين وعقيدتهم في جنوب الفلبين خاصة ، ومناطقهم التي زرتها في إقليم (مندناو) ومنها (كوتباتو) ومنطقة (مغانوي) و (سلطان قدرات) وفي إقليم (لاناو) في (مراوي) وغيرها ، أو في بعض مساجد (مانيلا) تجدهم أكثر صفاءً في العقيدة من كثير من البلاد الإسلامية ، حتى المجاورة لهم ، والبعد عن الصوفية والتصوف والفرق والطرق والمناهج الأخرى سمة معروفة لهم ، وإذا كان الكاتب يعرف مسجداً معيناً بين آلاف المساجد أو مقراً تمارس فيه الطقوس الصوفية ، أو يعرف شيخاً لطريقة صوفية معينة ، فليذكره كي يتوجه له أهل الخير لبيان الحق له ودعوته إليه ، وفي ذلك تعاون منه على الخير ، أما أسلوب الاتهام جزافاً فلا داعي له ولا طائل من ورائه .

أما قوله : إنهم يعتبرون المسلمين حديثاً من الدرجة الثانية ، ويظنون أن الإسلام يخصهم وحدهم ، وأنهم لا يحبون من يسلم حديثاً .. إلخ ، فأنا وإن كُنتُ من المسلمين العرب فالحق أحق أن يتبع ، والفضل لأهله ينسب ، فأقول : إن أكثر

المسلمين الجدد اهتدوا بدعوة إخواننا الفلبينيين هناك ، ولا مقارنة في النسبة بين من اهتدى على أيديهم ومن اهتدى على يد غيرهم من عرب أو غيرهم ، والإحصائيات تشهد بذلك .

ومثل مقولة : إنهم يجتمعون لضرب المسلم الجديد حينما ينكر منكراً ، وقد يصل الأمر إلى القتل ولو كان على الحق ، ففيه من التهويل والتعميم والمبالغة والظلم والتنفير والخلو من الدليل ما الله به عليم . ومن قوله : إن بعض مسؤولي المراكز الإسلامية يطلبون مبلغاً من المال من معتنق الإسلام إمعاناً في التعقيد وتقليداً للنصارى في طريقة التعميد والطقوس ، فهذا على شاكلة ما سبق : رمي دون تحديد ولا دليل ، فليحدد مركزاً أو مسؤولاً ليكون لكلامه واقعاً ، والذي عرفناه عنهم ومن مخالطتهم : الحرص على دعوة غير المسلمين بالتي هي أحسن وبالحجة والبرهان والمحاورة ، ثم فرحهم بإسلامهم ومتابعتهم وتعليمهم بقدر ما يستطيعون وعدم التمييز بينهم ، بل قد يؤثرونهم ببعض المزايا والأمور ترغيباً لهم في الإسلام ، أما ما ذكر في المقال من دعاوى فهي توهمات يكذبها الواقع .

* أما القول بأن قبيلة (التاوسوق) هي أكثر القبائل غيرة على الإسلام ، وهي المقاتلة حقاً ، وقد قامت ببناء المساجد في جميع أنحاء الفلبين : أقول : إنني لا أعرف شيئاً عن هذه القبيلة ، وإذا كان الكاتب يعلم شيئاً فليمدنا به على عنوان المجلة مؤيداً قوله بالدليل ، أما قوله : إنها أكثر غيرة ونشاطاً ، فهذا غير دقيق ، فالمعروف هناك أن قبيلة (المرناو) مشتهرون بذلك أيضاً ، وكذا قوله : إنها المكلفة ببناء المساجد غير صحيح ، وليته اكتفى بذلك ، غير أنه زاد قوله : في جميع أنحاء الفلبين ، وما علم أن من القراء من لا يعرف الحقيقة ، والذي أعرفه ويعرفه غيري أن المساجد في جنوب الفلبين وهي منطقة النشاط والأكثرية بنيت غالبيتها من قِبَل الجمعيات الإسلامية المشار إليها سابقاً وغيرها مما لم يذكر ، وهذه المساجد تعد بالآلاف ولا تختص بها قبائل معينة ، إنما تتعاون هذه الجمعيات الخيرية فيما بينها ومعها أهل الخير والمحسنين من العالم الإسلامي حسب إمكانياتها واحتياج مناطق المسلمين ، ومثل ذلك بقية المشاريع الإسلامية ، ولا نعرف مسجداً منها صوفياً أو شيعياً ، وهذه المساجد موجودة إحصائياتها وأسماؤها لدى هذه الجمعيات المنفذة ، وهكذا بقية ما ورد من دعاوى وتهم لا تثبت على محك الحق :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بينات   أبناؤها   أدعياء

ثالثاً : تحدث المقال عن الصوفية ورمى بها أئمة المساجد والمسلمين الأصليين وهم منها بريئون وقد ذكر خمس فرق من الصوفية ، وأن الصوفيين نشروا كثيراً من البدع والخرافات مثل إقامة المآتم ومراسم الدفن تقليداً للنصارى ، كما ظهرت بين المسلمين عقيدة تناسخ الأرواح .. إلى آخر هذه الدعاوى والتهم الباطلة ، ونحن نطالب الكاتب أو من نقل عنه هذه المعلومات أن يحدد ولو منطقة واحدة يجري فيها ما ذكر ، ومن هم القائمون على هذه الأعمال ليتم الاهتمام بذلك وتوجيه الدعاة نحوهم .

أما هذا الأسلوب العجيب في كيل التهم بغير أدنى دليل : فهو غيبة عامة وظلم وظلمات يتحمل وزرها قائلها ، فعلى كل مسلم أن يتحرى الحق بدليله .

رابعاً : تحدث عن الرافضة ونشاطهم وكشف بعض مخططاتهم ، وهو يشكر على ذلك ، إلا أن هناك ملحوظات يجب التنبيه عليها ، منها :

1- أنه وردت في الحديث عنهم أخطاء ومبالغات غير صحيحة وتخالف الواقع .

2- أن نشاط الرافضة الذي ذكره لا يقتصر بهذا الشكل على الفلبين وحدها في أيامنا هذه ، من حيث : فتح فروع في البلاد الأخرى لمراكزهم العلمية ، ودعمهم

مادياً ومعنوياً ودبلوماسياً من قبل سفارات دولتهم ، والوقوف إلى جانبهم بكل الإمكانات والمطبوعات لنشر مذهبهم ، فكل هذا معروف عنهم وهو ليس في الفلبين فقط ، وإنما في كل بلاد يفتح لهم فيه المجال .

الخاتمة : مما سبق أقول : إن الواجب يفرض على كل مسلم انطلاقاً من واجب الأخوة الإيمانية والحرص على جمع شمل المسلمين وعدم التوهين والفت في عضد العاملين للدعوة ضرورة التبين والتثبت لئلا يصيب غيره بجهالة ، ثم يصبح على ما فعله من النادمين ، وقد لا ينفع الندم وبخاصة في هذا العصر الذي تنتشر فيه وسائل الإعلام بسرعتها بين ملايين الناس من ينشد الحق عند الحكم على الآخرين أفراداً أو جماعات ما لهم وما عليهم واسترشاداً بقوله (تعالى) : ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، وما ورد في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :) إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث (، وغير ذلك من النصوص الكثيرة ، والبعد عن الزلل والظلم والجور والعواقب الوخيمة، وما حاد المسلم أو الجماعة المسلمة في أمر عن منهج الله الحق إلا أصابهم من الخلل والفشل والوهن والاختلاف وسوء العاقبة بقدر ما فرطوا فيه .

رزقنا الله جميعاً صلاح النية والقصد والاهتداء بمنهج الله وصراطه المستقيم في كل أمر ، وثبتنا عليه ، ورزقنا حسن التبصر والبصيرة والسعي لكل ما يعلي شأن الإسلام والمسلمين .

(*) هذا هو ما نعرفه عن إخواننا المسلمين في الفلبين ، وقد تكون التهمة المذكورة سابقاً شذوذاً ، والشاذ لا حكم له ، ولكن يجب ألا نغفل عما ذكر مما قد يحصل من بيع بعض الأفراد أراضيهم للنصارى ، خوفاً من أن يكون هناك مخطط كنسي صليبي لإحلال النصارى محل المسلمين في مناطق كثافتهم ، إذ إن مثل ذلك ليس بعيداً البيان .

(1) لديّ بيان المزيد والتفصيل لمن يريد أن يطلع على ذلك من نشاطاتها . الهامش رقم (1) غير مشار إليه في المقالة (ماس) .

(2) ولذلك فقد تدارك القائمون على المجلة بعض الشيء وحسب علمهم وأحالوا القارئ إلى كتيب : الأعمال الخيرية بالفلبين ، وذكروا أن هناك جهوداً خيرية كثيرة . الهامش رقم (2) غير مشار إليه في المقالة (ماس) .

متابعات

نعم .. يموت المجتمع ويحيا

محمد العسيري

اطلعت على مقال د/ خالص جلبي ، فوجدت أن فيه فكرة جديرة بالنظر والتأمل ، وتواصلاً وإسهاماً في هذا النظر أقدم هذه المشاركة المتواضعة :

نعلم علم اليقين أن كل مخلوق حي له جسد وروح ، بناءٌ مادي خارجي وروح تسري في أوصاله ، والمجتمع كذلك له جسد وروح ؛ ومن هنا كانت ميتة المجتمع كما أرى إما ميتة مادية محسوسة بهلاك أفراده أو دمار بنيته ، وإما معنوية روحية بانهيار مبادئه وقيمه الحضارية .

فالميتة المادية المحسوسة :

هي الدمار الشامل أو الجزئي لمجتمعٍ ما بحيث تزول إمكاناته البشرية ومكتسباته الحضارية ، وأرى أن هناك طريقَين لهذا الموت :

1- انحراف بعض الأفراد وسكوت الآخرين : كما في قوله (تعالى) : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا [الإسراء : 16] ، وقوله (تعالى) عن قوم صالح : وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون [النمل : 48] عقروا الناقة وهموا بقتل صالح

(عليه السلام) فكان الجزاء والعقاب : ﴿ أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾ [النمل : 51] .

2- تواطؤ المجتمع على الانحراف : كما حدث في قوم لوط (عليه السلام) وما كانوا يقيمون عليه من الفواحش والمعاصي التي استحقوا بها عذاب الله ؛ فكان عقابهم : ﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ [الحجر : 74] وتلاشى ذلك المجتمع ودفن في مقبرة التاريخ .

والميتة الروحية المعنوية :

كما حدث لأمتنا في العصور المتأخرة حينما عانت من الإحباط النفسي والهزيمة الداخلية عندما تسلطت عليها فئات من المستغربين عقدياً وثقافياً وقيميا ، وقدموا روح هذه الأمة عقيدتها وقيمها وثقافتها وفكرها قربان ولاء لأصنام الجاهلية المعاصرة ، ثم بقي جسد الأمة لينهشه كل طامع وحاقد ومتسلط ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم- : يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .. [*] .

ولكن كما أن الله يخرج الحي من الميت فقد أراد الله لهذه الأمة أن تبعث من رقدتها ، فتنبهت على نداءات صوت الصحوة الإسلامية يهتف بالرجوع إلى الأصول وإحياء المبادئ الإسلامية .

من أسباب حياة المجتمعات :

1- الإيمان والتقوى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض .. ﴾ [الأعراف : 96] .

2- الاستغفار والتوبة : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً* ويمددكم بأموال وبنين .. ﴾ [نوح : 10 - 12] .

3- الإصلاح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) : ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .. ﴾ (هود : 117) .

من أسباب موت المجتمعات :

1- الظلم : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة .. ﴾ [هود : 102] .

2- البطر وكفر النعمة : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها .. ﴾ [القصص : 58] .

وبطرت : أي : أشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم الله به عليهم من الأرزاق ؛ فحق الموت على هذا المجتمع واندثرت ديارهم .

هذا ما خطر لي عن موت المجتمع وحياته ، نسأل الله (سبحانه) أن يوفقنا إلى العمل بأسباب حياة مجتمعنا وتجنب أسباب موته ، والله ولي التوفيق .

(*) أخرجه الإمام أحمد ج5 ص278 ، وأبو داود ج4 ص483 ، وصححه الألباني : صحيح سنن أبي داود ح/3610 .

هموم ثقافية

نكون .. أولا نكون .. !
نظرات في مذكرات المرأة الصهيونية الرجل

أحمد عبد الرحمن الصوبان

الدارس لتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة يجد عجائب وغرائب كثيرة جداً ، فمن شعب مهين مستضعف مشتت في كلّ أنحاء العالم ، يتحول اليهود خلال سنوات

قلائل إلى أمّة قوية مهيبة ، يتساقط تحت أقدامها قادة المشرق والمغرب .

جولدا مائير (رئيسة وزراء إسرائيل 1969- 1973م) إحدى النساء اللواتي ساهمن مساهمة قوية في قيام دولة إسرائيل ، قال عنها ابن غوريون أول رئيس للوزراء عندما عادت من أمريكا محملة بخمسين مليون دولار بعد حملة تبرعات واسعة : سيُقال عند كتابة التاريخ : إن امرأة يهودية أحضرت المال ، وهي التي صنعت الدولة[ص171من مذكراتها] ، بل قال عنها ثانية : إنها الرجل الوحيد في الدولة ! [ص97] ، عندما قرأت مذكراتها وجدت دروساً عملية جديرة بالتأمل والنظر ، منها :

الأول : ضرورة الإيمان الراسخ بالهدف الذي يدفع للبذل والعطاء ، وتحويله من حلم إلى حقيقة واقعة .

الثاني : أن آمال الإنسان لا تتحقق إلا بالإصرار والصبر وطول النفس ، واستسهال الصعاب .. !

ودعونا الآن نقرأ بعض هذه المقاطع التي لا تحتاج إلى تعليق :

لقد شعرت أن الرد الوحيد على قتل اليهود في أوكرانيا هو أرض فلسطين ، يجب أن يكون لليهود أرض خاصة بهم ، وعليّ أن أساعد في تحقيق هذا ، لا بالخطب والتبرعات ، بل الحياة والعمل هناك معهم في أرض فلسطين [ص54] .

لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني تجبرني للإخلاص لها ونسيان همومي كلها ، وأعتقد أن هذا الوضع لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة عقود التالية[ص56] .

لقد كانت (فلسطين) هي السبب ، ولأجلها حضرنا جميعاً ، ولأجلها تحملنا المشاق ! .. لقد كنت شغوفة في شرح طبيعة الحياة في إسرائيل لليهود القادمين ، وأوضح لهم كيف استطعت التغلب على الصعاب التي واجهتني عندما دخلت (فلسطين) لأول مرة ، ولكن حسب خبراتي المريرة التي مارستُها كنت أعتبر أنّ الكلام عن الأوضاع وكيفية مجابهتها نوعاً من الوعظ أو الدعاية ، وتبقى الحقيقة المجردة هي وجوب إقامة المهاجرين وممارستهم للحياة عملياً . لم تكن الدولة الإسرائيلية قد أنشئت بعد ، ولم تكن هناك وزارة تعنى بشؤون المهاجرين الجدد ، ولا حتى من يقوم على مساعدتنا لتعلم اللغة العبرية ، أو إيجاد مكان للسكن ، لقد كان علينا الاعتماد على أنفسنا ، ومجابهة أي طارئ بروح بطولية مسؤولة ! [ص 71] .

كان الروّاد الأوائل من حركة العمل الصهيوني هم المؤمنون الوحيدون الذين يستطيعون تحويل تلك المستنقعات أو السبخات (! !) إلى أرض مروية صالحة للزراعة ، فقد كانوا على استعداد دائم للتضحية والعمل مهما كان الثمن مادياً أو معنوياً .. ! [ص74] .

عندما أتذكر وضع (السوليل بونيه) [منظمة يهودية] منذ زمن أي : منذ 1927م في مكتبها الصغير في القدس يوم كانت لا تستطيع دفع أجور العمال ، ثم أفكر في وضعها الحالي ، والخمسين ألف موظف وموظفة ، وبمدخولها الذي وصل إلى 5 . 2 مليون ليرة إسرائيلية ، عندها أحتقر أي شخص يقول أو يُنكر على الصهيونية تفاؤلها [ص 95] .

إننا في اجتماعنا هذا لن نُعيد المسيح إلى الحياة (في زعمهم) ، ولكن لابد لنا من القيام بمجهود لنقنع العالم بما نريده وبما نحن عليه ! ! [ص99] .

أعتقد أن هناك سببين فقط يمثلان المحنة القومية التي مررنا بها ، أحدهما : الانهيار والاستسلام ، والقول : لا أستطيع أن أتابع . والثاني : أن تكشر عن أنيابك وتحارب بكل ما أوتيت من قوة على كل الجبهات التي تواجهك مهما كانت المدة

صعبة وطويلة ، وهذا بالضبط ما قمنا به في السابق ، ونحن قائمون به الآن ! [ص 120] .

أدركت أنه لا يكفي لشعب ضعيف أن يثور لكي ينال عدلاً مطالبه ، أما مبدأ (نكون أو لا نكون) فعلى كل أمة أن تعمل به وبالتالي تقرر مصيرها بطرقها الخاصة ، وعلى اليهود ألا يعتمدوا على أحد من أجل تقرير مصيرهم [ص130] .

لم يقدم لنا الاستقلال على طبق من فضة ، بل حصلنا عليه بعد سنين من النزاع والمعارك ، ويجب أن ندرك بأنفسنا ومن أخطائنا الثمن الغالي للتصميم والعزيمة [ص238] .

أخبرت اليهود في جميع أنحاء أمريكا أن الدولة الإسرائيلية لن تدوم بالتصفيق ولا بالدموع ولا بالخطابات أو التصريحات ! ، إنما يجب توفر عنصر الوقت لبنائها ، قلت في عشرات المقابلات : لن نستطيع الاستمرار دون مساعدتكم؛ فيجب أن تشاركونا بمسؤولياتكم في تحمل الصعاب والمشاكل والمشقات والأفراح، صمموا على المساعدة وأعطوني قراركم ! لقد أجابوا بقلوبهم وأرواحهم بأنهم سيضحون بكل شيء في سبيل إنقاذ الوطن ! ! [ص185] .

[2]

أرجو من القارئ الفطن أن يقرأ هذا المقطع بتمعن شديد ، ثم يقارنه بالشعارات الثورية التي ملأت الأمة بضجيجها وصخبها لعبد الناصر ومن بعده من قادة التحرر العربي ... ! ! .

تردد الجموع بكل بلاهة :

من الخليج الثائر .. إلى المحيط الهادر .. لبيك عبد الناصر !

فتجاب بكل استهتار ومهانة : سنرمي إسرائيل في البحر !

والنتيجة هي تحطيم الطيران المصري كله على أرض المطار .. فالقادة يعبثون ويشربون حتى الثمالة ، ويتراقصون على أنغام الموسيقى ، ولا يدركون ما حدث إلا حينما انتهى كل شيء .. ! !

وبعد هذا الإحباط .. حتى تلك الشعارات الثورية سقطت .. وتحركت القلوب الرحيمة تندد بالفدائية ، وتنادي بالسلام وحقن الدماء .. فلابد أن نتفرغ للبناء ، فقد أنهكتنا الحروب .. !

إنها حرب عقيدة ، ولن تنتصر الأمّة بشعاراتها النفعية وإعلامها الرخيص ، فمتى يدرك الناس أننا قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ؟!. فإما نكون أو لا نكون .. ! ! ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ [النساء : 104] .

الورقة الأخيرة

حالة جارودي

جمال سلطان

المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي ، رجل أضنته السنون في معالجة قضايا الفكر الفلسفي والفكر الحضاري ، وعلى الرغم من رصانته وجديته في تأمل قضايا الفكر المختلفة ، إلا أن قضايا الفكر إجمالاً تختلف عن العلوم الشرعية بضوابطها ومعالمها ومحدداتها العلمية ، ولذلك : فكثيراً ما يخطئ جارودي أخطاءً فاحشة عندما يتحدث في قضايا من هذا القبيل دفاعاً عن الإسلام بحكم عدم

التخصص . كذلك هناك عامل السن وضعف القدرة على التعمق في عالم جديد عليه من الأفكار ، والتاريخ ، والحضارة ، والدين ، كعالم الإسلام ، لاسيما وقد أسلم جارودي في سن متأخرة بعدما أضنته التجارب والسياحات الفلسفية وأجهدت ذهنه ، ولكن حالة جارودي تختلف كثيراً عن حالات المفكرين المسلمين أبناء المجتمع الإسلامي والتاريخ الإسلامي ، مولداً ونشأة وتحضراً ، فهؤلاء يؤخذ كلامهم على أنه شهادة إسلامية من أصحابها ، وهذا مكمن الفتنة ، أما جاردوي : فلا أظن أحداً من الغرب أو الشرق يأخذ كلامه باعتباره حجة من داعية إسلامي أو مفكر إسلامي أو عالم مسلم ، وإنما الجميع يأخذ كلامه في الإسلام كنوع من التصور والسياحة الفكرية لرجل حديث عهد بإسلام ، فالفتنة هنا ضعيفة بل معدومة ، أقول هذا الكلام بمناسبة صدور مقالات وكتابات تحمل بعنف شديد على آراء جارودي وشطحاته ، ففي الحقيقة : إن الأمر أهـون من كل هذه القسوة وهذه الحماسة ، بل إن كثرة ردات الفعل هذه ، وتوالي الحماسات المنتسبة إلى الإسلام في غير قضية بدعوى الدفاع عنه وحمايته ، قد تؤدي إلى نتائج عكسية ، تستخف بكتابات الإسلاميين ، وتضعهم في ركن أصحاب المعارك الوهمية ، مما يخدش من جدية الطرح الإسلامي وقيمته ، عندما يخوض غمار المعارك الحقيقية والمصيرية .

تمت أعداد السنة العاشرة بعون الله والحمد لله رب العالمين
وتليها أعداد السنة الحادية عشرة بأقرب وقت
لا تنسونا من صالح الدعوات